جبال القمر

محمود سالم

جبال القمر

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

جبال القمر

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٤٣٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب في تاريخ غير معروف.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مُهمَّة لرجل واحد!	١١
إنك تُدخِّن كثيرًا!	١٥
على بُعد آلاف الأميال!	٢١
«كالنجانو»!	٢٧
«رونزوري» ... «رونزوري»!	٣٣
الطبول!	٣٩
صراع الأشباح!	٤٥
على حافَّة الفشل في «رونزوري»!	٥١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مُهمَّة لرجل واحد!

نظر «خالد» إلى ساعة يده ... وإلى الساعة الكهربائية المثبتة على حائط غرفته ... فوجدهما متطابقتَين ... الساعة التاسعة وخمس وأربعون دقيقة ... وبعد ربع ساعة بالضبط سوف يُغادر المقر الرئيسي للشياطين الـ «١٣»، ويقود سيارته إلى المدينة، ثم يركب الطائرة عائدًا إلى «بيروت».

كان «خالد» يعيش وحده في المقر السري للشياطين الـ «١٣» منذ شهر حسب تعليمات رقم «صفر»، بينما كان بقية الشياطين في «بيروت». وقد حضر «خالد» للتدريب على أيدي أخصائيين في المقر السري، وقد تدرَّب جيدًا ... ليس على إطلاق النار ... أو المصارعة ... أو أي مهمَّة عنيفة من المهام التي يقوم بها الشياطين الـ «١٣» ... ولكن كان يتدرَّب على إصلاح الآلات الكاتبة.

وعندما تلقَّى «خالد» التعليمات منذ شهر كاد ينفجر من الغيظ والضحك معًا ... فما معنى أن يتدرَّب أحد الشياطين على إصلاح الآلات الكاتبة ... إنها مهمَّة رجل عادي وليست مهمَّة أحد المغامرين المرموقين ... ولكن تعليمات رقم «صفر» كانت واضحةً جدًّا ... يُسافر «خالد» فورًا إلى المقر السري للتدريب على إصلاح الآلات الكاتبة ... ويعود بعد شهر.

وحضر «خالد» إلى المقر السري الكبير ... حيث يُدار كل شيء بالكهرباء، وحيث يوجد أخصائيون في جميع فروع المعرفة ... وتدرَّب تدريبًا دقيقًا متواصلًا على إصلاح أعقد الآلات الكاتبة العادية والإلكترونية ... وأصبح فعلًا على درجة عالية من الكفاءة والمهارة في إصلاح أي نوع من أنواع الآلات الكاتبة ... وكان ما يُهمُّه حقًّا هو معرفة السبب وراء هذا التدريب ... هل سيترك عمله الأصلي كعضو في الشياطين ويفتح محلًّا لإصلاح الآلات الكاتبة؟! غير معقول! ... لا بد أن هناك مهمَّةً محدَّدة، ولا بد أنه اختير بالذات لسبب هام ... فهناك من الشياطين من هو أقدر منه على إصلاح الآلات الكاتبة كـ «هدى» مثلًا ...

ولكن لم يكن هناك من يستطيع مناقشة تعليمات رقم «صفر». وأعاد النظر إلى الساعة الكهربائية، وعقرب الثواني يقفز سريعًا بين العلامات ... حتى توقَّف عقرب الدقائق على رقم ١٢ وعقرب الساعات على رقم ١٠. وقفز «خالد» من مكانه وركب سيارته وانطلق مسرعًا ... وبعد ساعتَين كان يستقل الطائرة إلى «بيروت». وعندما نزل من الطائرة في مطار «بيروت» الدولي وجد في انتظاره «زبيدة» و«عثمان»، وتبادلا السلام والتحية في شوق ومحبَّة، ثم انطلقوا بالسيارة إلى مقر الشياطين رقم «٢»، وهو المقر المجهَّز كمعرض ... جزء منه يبيع الآلات الإلكترونية، والجزء الثاني لبيع السيارات.

وعندما وصل «خالد» إلى المقر لاحظ على الفور وجود لافتة جديدة على قسم بيع الآلات الإلكترونية ... وكان على اللافتة جملة: «أخصائيون في إصلاح الآلات الكاتبة والحاسبة العادية والإلكترونية.»

وأدرك «خالد» على الفور نوع المهمَّة التي تنتظره ... سيكون مسئولًا عن إصلاح الآلات التي ترد إلى قسم الإصلاح، ولكن لأي غرض؟

ولم تمضِ نصف ساعة حتى كان رقم «صفر» يُرسل لهم تقريرًا بالمهمَّة التي درب «خالد» من أجلها على إصلاح الآلات الكاتبة والإلكترونية.

وجلس «خالد» وسط المغامرين يستمع إلى التقرير الذي كانت «إلهام» تقرؤه:

> من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س». هناك شركة كبيرة تعمل في الكيماويات والمعادن اسمها شركة «ك وراء البحار» ... ونحن نعتقد أن هذه الشركة تقوم بنشاط سري مريب، بالإضافة إلى نشاطها العلني في بيع المواد الكيماوية والبتروكيماوية ... وهو نشاط واسع يُغطِّي أكثر الدول العربية وبعض الدول الأفريقية. وقد قام رجالنا بالتعاون مع رجال الشرطة في لبنان بتتبُّع نشاط الشركة ... وقد حصلنا على نماذج من مراسلاتها إلى مختلِف الدول، ولم نجد فيها شيئًا مريبًا ... ولكن منذ شهرَين حصلنا على خطاب مرسل إلى دولة أفريقية ... ومن المدهش أننا وجدنا في هذا الخطاب ورقةً بيضاء غير مكتوبة. وأدركنا على الفور أنها رسالة سرية ... وقد استخدمنا مختلِف الوسائل لإظهار المكتوب في الورقة دون جدوى، فأعدنا إرسالها ... وقد علمنا أن هذه الرسالة البيضاء تُكتب على آلة كاتبة من نوع خاص ... ونحن نُريد أن نعرف نوع هذه الآلة وكيف تعمل حتى نستطيع حل لغز الرسالة البيضاء.

وتوقَّفت «إلهام» لحظات ... وأدرك «خالد» نوع المهمَّة التي سيُكلَّف بها. وعادت «إلهام» تقرأ:

وقد استطعنا إلحاق أحد رجالنا بالشركة في عمل ساعٍ بين المكاتب، وعرفنا منه أن الآلة الكاتبة المذكورة موضوعة في غرفة رئيس مجلس إدارة الشركة ... وأنه لا أحد يقترب منها إلَّا الكاتب الذي يعمل عليها؛ فهي موضوعة في خزانة مغلقة بمفتاح لا يحمله سوى رئيس مجلس الإدارة.

وقد فكَّرنا في اقتحام الشركة وفتح الخزانة ومعرفة سر الآلة التي تكتب الأوراق البيضاء ... ولكن أي تصرُّف من جانبنا قد يُثير انتباه من في الشركة إلى أننا نتتبَّع نشاطها؛ لهذا فكَّرنا في خطة بديلة ... سيقوم رجلنا في الشركة بمحاولةٍ لتعطيل الآلة الكاتبة بحيث تحتاج إلى إصلاح ... ولن يكون في «بيروت» من يستطيع إصلاحها سوى «خالد».

وهزَّ «خالد» رأسه ... ونظر إليه الشياطين جميعًا وهم يبتسمون ... وقال «أحمد» معلِّقًا: إنها مهمة لرجل واحد.

خالد: ولكن كيف سيتمكَّن عميلنا في الشركة من كسر الآلة الكاتبة؟

أحمد: لا أدري ... ولا بد أن رقم «صفر» قد وضع خطةً محكمة ... ففي أثناء اشتغال الكاتب عليها قد يقوم عميلنا بحركة بهلوانية يقع على أثرها فوق الآلة ... أو شيء من هذا القبيل ... على كل حال هذه ليست مهمَّتنا ... إنها مهمة رقم «صفر» وما علينا إلَّا الانتظار.

في اليوم التالي ... قرأ الشياطين في أهم صحف لبنان إعلانًا ضخمًا عن القسم الإلكتروني في مقرِّهم ... وكان الإعلان عن استعداد القسم لإصلاح أدقِّ الآلات الكاتبة والحاسبة العادية والإلكترونية ... وأدرك الشياطين أن رقم «صفر» يُمهِّد للعملية القادمة.

ومع نهاية اليوم وصلت تعليمات جديدة تقول: «على «خالد» أن يضع مكياجًا متقنًا لرجل في الخامسة والثلاثين أو الأربعين من عمره، وعليه أن يتمرَّن على التصرُّف بما يُناسب رجلًا في هذه «السن».»

ووقف «خالد» حائرًا بينما انهمكت «إلهام» و«زبيدة» في تجهيز الثياب اللازمة والأصباغ ... وقالت «زبيدة»: لقد قرَّرت أن يكون لك شارب جميل مثل شارب «عمر الشريف» في فيلم «لورانس العرب».

قال «أحمد»: هذا جميل ... قد تُصبح نجمًا مشهورًا تنافس «عمر الشريف» و«بلموندو».

إنك تُدخِّن كثيرًا!

في اليوم السادس لوصول «خالد» إلى «بيروت» جاءت التعليمات الأخيرة من رقم «صفر»: «نجح رجلنا في إفساد الآلة الكاتبة ... بدأت الشركة في البحث عمن يُصلح الآلة ... إعلانات الصحف سوف تجذبهم إلى المقر. توقَّعوا في أية لحظة أن يصل مندوب الشركة ... على «خالد» أن يقف في قسم الآلات بشخصيته الجديدة طوال الوقت.»

ومضت التعليمات تُوضِّح الخطة: «إذا وافقت الشركة على إرسال الآلة إلى المقر؛ فعليكم بفحصها تمامًا ... ومعرفة أسلوب عملها وتجرِبتها ... إذا لم تُوافق الشركة وطلبت إصلاح الآلة في مكانها ... فستصل إليكم الآن ولَّاعة سجائر بها كاميرا سرية ... والكاميرا تعمل كلما اشتعلت الولَّاعة ... وعلى «خالد» أن يُلاحظ كلما أشعل الولَّاعة أن يُصوِّر الآلة ... ولا بأس أن يُصوِّر غرفة مكتب رئيس مجلس الإدارة ورئيس مجلس الإدارة إذا كان موجودًا ... إن بالكاميرا السرية فيلمًا به ٦٠ صورة، ويجب على «خالد» أن يقضي أطول فترة ممكنة في إصلاح الآلة حتى يُصوِّر أكبر مجموعة من الصور.»

انتهى التقرير ... وتحوَّل «خالد» الشاب الوسيم إلى رجل في منتصف العمر، يُمسك سيجارةً دائمةً بين أصابعه دون أن يُدخِّنها؛ لأنه يكره التدخين لأضراره الجسيمة بالصحة. ويقف في انتظار حضور مندوب الشركة ... ومضى يوم آخر ثم حدث ما توقَّعه رقم «صفر» ... وظهر مندوب الشركة.

كان رجلًا نحيلًا سريع الحركة ... يضع على عينَيه نظارةً طبيةً ذات إطار ذهبي، شديد الأناقة ... ويحمل حقيبةً سوداء. تقدَّم مسرعًا إلى حيث كان يقف «خالد»، فحيَّاه في أدب، ثم قال: جئت في طلب مندوب لفحص آلة كاتبة في شركتنا.

قال «خالد» برقة: أي نوع من الآلات يا سيدي؟

الرجل: آلة كاتبة معقَّدة نوعًا ما ... وقد حضر بعض مندوبين من شركات الإصلاح ولكن أحدًا لم يستطِع إصلاحها.

خالد: ألا يمكن نقلها إلى هنا؟ إن آلات الفحص هنا متوفرة!

الرجل: آسف ... نحن نُفضِّل أن تُصلحها هناك ... إنها آلة دقيقة، وقد تتعرَّض لعطب أكبر إذا نُقلت من مكانها.

تظاهر «خالد» بأنه يُفكِّر في حديث الرجل، ثم قال: وأين مكان الشركة؟

الرجل: ليست بعيدةً من هنا، إنها شركة «ك. وراء البحار»!

خالد: أسمع عنها. إنها شركة محترمة جدًّا.

ابتسم الرجل وقال: هل تستطيع أن تأتي معي الآن؟

مرةً أخرى تظاهر «خالد» بالتفكير ثم قال: أرجو أن تمر بعد ساعة، فعندي بعض العمل هنا، وحتى يحضر زميلي الذي يقوم بالعمل مكاني.

أخرج الرجل من جيبه كارتًا صغيرًا أنيقًا تركه لـ «خالد» قائلًا: سأنتظرك بعد ساعة في مقر الشركة. اسمي موجود في الكارت، ثم حيَّا «خالد» وخرج.

أسرع «خالد» لإبلاغ «إلهام» لترسل تقريرًا سريعًا إلى رقم «صفر» بما حدث ... وردَّ رقم «صفر» بكلمات قليلة إلى «خالد»: كن حذرًا للغاية ... إنهم يُقيمون نطاقًا كبيرًا من السرية حول هذه الآلة.

وبعد ساعة غادر «خالد» المقر السري ومعه حقيبة بها مجموعة من الآلات والأجهزة الدقيقة، وفي جيبه الولَّاعة التي أرسلها رقم «صفر»، واشترى في الطريق علبةً أخرى من السجائر غير التي معه ... وفي الموعد تمامًا كان يقف أمام العمارة الضخمة التي تُمثِّل مكاتب الشركة ثلاثة أدوار فيها، ثم ركب المصعد، وعندما توقَّف أمام باب الشركة ركَّز تفكيره في اللحظات القادمة ثم دخل.

كان مقر الشركة غايةً في الفخامة والأناقة ... أواني الزهور والورد في مختلِف أرجاء الغرف الواسعة ... الأرض لامعة ... الجدران كأنها زجاج ... رائحة غريبة نوعًا ما تشيع في المكان ... وعند الاستعلامات توقَّف ثم أحنى رأسه بتحية سريعة لفتاة حسناء كانت خلف المكتب، وقال: جئت لفحص الآلة الكاتبة. أريد مقابلة الأستاذ «جان».

قالت الآنسة: الغرفة الثالثة على اليسار.

ومشى «خالد» متمهِّلًا كما يليق برجل في الأربعين قد ابيضت بعدُ شعيرات رأسه، ودقَّ الباب وسمع صوتًا من الداخل يطلب منه الدخول.

كانت غرفةً واسعةً مريحة، بها مكتب ضخم، وعلى جدرانها عدد من اللوحات الثمينة. وظن «خالد» لأول وهلة أنها غرفة رئيس مجلس الإدارة، ولكن لاحظ على الفور أنها ملحقة بغرفة أخرى بواسطة باب مبطَّن بالقطيفة الصفراء الذهبية؛ فعرف على الفور أنها غرفة السكرتير … وكان «جان» يجلس خلف المكتب … واستقبل «خالد» بحماس ورجاه أن يجلس قليلًا حتى يُخطر الرئيس بحضوره. وقام «جان» ودخل الغرفة … وبنظرة شاملة حفظ «خالد» تفاصيل الغرفة التي يجلس فيها … ولاحظ أن النوافذ محصَّنة بالحديد رغم ارتفاعها.

وعاد «جان» وطلب من «خالد» أن يتبعه، ووجد «خالد» نفسه أمام رئيس الشركة … الذي تأمَّله بسرعة ثم أشار إلى الآلة الكاتبة قائلًا: نرجو أن تتمكَّن من إصلاحها فقد حضر قبلك شخصان ولم يتمكنا من ذلك.

قال «خالد» بهدوء: سنرى ما يمكن عمله؟

كان قلبه يدق بشدة، ولكن مظهره ظل هادئًا تمامًا … ووضع حقيبة الأدوات بجوار المكتب الذي عليه الآلة … ثم أخرج علبة سجائره وسحب سيجارة، وأخرج الولاعة من جيبه، ووجَّه العدسة الصغيرة الموجودة بجانب الولَّاعة تجاه رئيس الشركة … وضغط … فالتقط بذلك أول صورة.

رفع «خالد» غطاء الماكينة … كم كانت دهشته أن وجد الماكينة عاديةً وإن كانت تعمل بالكهرباء! فقال متمتمًا: ما هو الشيء المعطَّل فيها؟

ردَّ الرئيس: لا أعرف … لقد أوقعها أحد الأغبياء على الأرض؛ فتوقَّفت عن العمل.

وأدرك «خالد» أن الغبي المشار إليه هو عميل رقم «صفر»، وبدأ يفحص الآلة وسرعان ما أدرك خطأه حين تصوَّر أنها آلة عادية؛ لقد كانت بلا شريط للكتابة، وهو جزء هام جدًّا في أي آلة عادية؛ لأن الشريط هو الذي يحمل الحبر … وعرف لماذا تكتب هذه الآلة حروفًا بيضاء لا تُرى.

وأخرج بعض أدواته … وتعمَّد أن يترك السيجارة جانبًا لتحترق وليشعل غيرها حتى يحصل على صورة أخرى … وفكَّ الجزء العلوي من الآلة بسرعة، وانكشفت الأجهزة الداخلية للآلة … ولاحظ على الفور أن الحروف لا تتصل بدوائر الضغط بأذرع كما في الآلات العادية … لقد كانت الأحرف كلها تدور حول كرة من الصلبة، وبدوران الكرة يتم ضغط الحروف على الورق … ومدَّ أصابعه يتحسَّس الكرة … ومرةً أخرى عرف أحد أسرار الآلة … إن الحروف ليست حادَّةً كباقي حروف الآلات الكاتبة. إنها حروف ناعمة ومحدَّبة

وليست مدبَّبة ... وأدرك أن مهمته صعبة ... وأخرج سيجارةً أخرى ... ثم وجَّه العدسة السرية إلى الآلة والتقط صورةً أخرى.

وبدأ يتحسَّس الكرة بأصابعه ... واكتشف أنها معوجَّة في أحد جوانبها؛ ممَّا أدَّى إلى التصاق الحروف بعضها ببعض. وكان يعرف أن إعادة الكرة إلى استدارتها العادية ليست بالمهمة السهلة ... ولكنه كان قد تمرَّن بما يكفي ...

قال رئيس الشركة: هل عرفت أين العطب؟

رفع «خالد» رأسه ونظر إلى الرئيس نظرةً طويلةً ثم قال: سيستغرق ذلك بعض الوقت.

قال الرجل بضيق: لقد قال أحد الفنيين إن الكرة التي تحمل الحروف قد أُصيبت.

خالد: ذلك صحيح!

الرجل: وإن ذلك لا يمكن إصلاحه ...

خالد: ممكن ولكن ذلك سيستغرق بعض الوقت.

الرجل: كم من الوقت؟!

فكَّر «خالد» لحظات ثم قال: يومَين تقريبًا.

ابتسم رئيس مجلس إدارة الشركة لأول مرة ثم قال: عظيم ... إن ذلك ليس وقتًا طويلًا على كل حال.

قال «خالد» متمهِّلًا: إن ذلك سيُكفلِّكم مبلغًا.

وقبل أن يتم جملته قال رئيس الشركة وهو يرفع سمَّاعة التليفون: أصلحها وسوف نُعطيك ما تطلب.

تمادى «خالد» في التظاهر وقال: أعتقد أنه من الأفضل أن نتفق أولًا ... إنني أطلب مائة ليرة لأن ...

ومرةً أخرى قاطعه الرجل برفع يده قائلًا: اتفقنا ... ولك مني شخصيًّا مكافأة فوق هذا المبلغ.

وابتسم «خالد» وتظاهر بالسعادة، ثم جلس إلى المكتب ... وشمَّر عن ساعدَيه وبدأ يفك الآلة قطعةً قطعة ...

ولم ينسَ أن يُشعل سيجارةً إثر أخرى كلما فكَّ جزءًا. ومضى الوقت ... ولاحظ «خالد» أن الرجلَين لم يُغادرا الغرفة مطلقًا، فقال متظاهرًا بالتعب: إنني أُفضِّل أن أنقل الآلة إلى المعمل عندنا فذلك سيكون أفضل!

رفع رئيس الشركة يده بضيق وقال: إننا نُريد إصلاحها هنا ... فهل هذا ممكن أم لا؟
تظاهر «خالد» بالاستسلام وقال: سأحاول.

ومضى الوقت في فك أغلب أجزاء الآلة ... رغم أن العمل لم يكن يستدعي ذلك كله، ولكنه كان يُريد أن يكسب أطول وقت ممكن حتى يمكن تصوير الفيلم كله ... ولكن «جان» لاحظ ما فعله «خالد» فقال: أعتقد أنه لم يكن من اللازم فك الآلة كلها!

ردَّ «خالد» بهدوء: من الأفضل أن نفحص كل جزء في الآلة ... فقد لا يكون العطب مقصورًا على الكرة الصلبة وحدها ... وبدلًا من أن نفك الآلة مرتَين نفكها مرةً واحدةً رغم أن هذا متعب لي.

وصمت «جان» ومضى «خالد» يستكمل فك الآلة وهو يُفكِّر في الطريقة التي يمكنه أن يحصل على نماذج ممَّا تكتبه الورقة لإعادة فحصه بطرق مختلفة ... فقد كان متأكِّدًا أن رقم «صفر» لم يستطِع فحص الرسالة البيضاء جيدًا، وإخضاعها لوسائل الكشف المتعدِّدة حتى لا يظهر أن يدًا عبثت بها.

وانتهى «خالد» من فك أجزاء الآلة كلها ... ثم أخرج زجاجةً بها سائل تنظيف وأخذ يُنظِّف كل جزء في الآلة بعناية، ويُجفِّفه ويضعه جانبًا. وعندما انتهى من كل ذلك أمسك بالكرة الصلبة. كانت كرةً مجوَّفةً من الداخل، وقد امتدَّت فيها أسلاك كثيرة، تُوصل النبض الكهربائي إلى الحروف، ممَّا يجعل الكتابة أسهل وأسرع ... وفتح الكرة الصلبة، ثم أشعل سيجارة ... وتركها تحترق، ثم أشعل سيجارةً أخرى ... كان يُريد أن يُصوِّر كل جزء في الكرة الصلبة من الداخل ... وفجأةً قام رئيس الشركة من مكتبه، واقترب من «خالد» وقال: إنك تُدخِّن كثيرًا ... أكثر من المعتاد!

ردَّ «خالد» بثبات وإن كان قلبه قد ارتفعت دقَّاته: إنها عادة قديمة يا سيدي!

قال الرجل وهو ينظر إليه بعينَين مستريبتَين: إن هذه العادة تُكلِّفك كثيرًا؛ فقد دخَّنت أكثر من ثلاثين سيجارةً في أقل من ساعتَين ... رغم أنك لا تُدخِّن السيجارة لنهايتها.

وقبل أن يرد «خالد» مدَّ الرجل يده وأمسك بعلبة السجائر وفحصها، ثم أمسك بالولَّاعة وأخذ يُقلِّبها بين يدَيه ويُقرِّبها من عينَيه ... وأحسَّ «خالد» أن الدنيا تدور به ... ففي إمكان الرجل بفحص دقيق للولَّاعة أن يعرف سرها ... وتفشل الخطة الدقيقة التي وضعها رقم «صفر» وأنفق فيها الشهور الطويلة.

على بُعد آلاف الأميال!

ولكن ... لحسن الحظ كانت الكاميرا السرية التي في الولَّاعة مخفاةً بمهارة؛ فقد كان على الولَّاعة رسم قط، وكانت عينا القط الزجاجية هي عدسة الكاميرا ... وكان من الصعب الوصول إلى سر الكاميرا إلَّا بعد فك الولَّاعة كلها.

وضع رئيس الشركة الولَّاعة مكانها ... فقرَّر «خالد» أن يُسرع في العمل حتى لا يترك للرجلَين فرصةً أخرى للاشتباه فيه قد تنتهي بالكشف عن حقيقة المهمة التي جاء من أجلها ... ومضى يعمل بهمَّة ... دون أن يُنقص من عدد السجائر التي يُدخِّنها رغم إحساسه بالضيق الشديد.

وجاء وقت الغداء، فدعاه رئيس الشركة لتناول الطعام معه و«جان» في غرفة مجاورة، وكانت فرصةً لـ «خالد» كي يدرس الرجلَين أكثر ... وبدا رئيس الشركة سعيدًا عندما عرف من «خالد» أنه سيبقى في الشركة حتى ينتهي من إصلاح الآلة ... وخطرت له فكرة وهو يتناول الطعام ... أن ينتهي بسرعة ثم يدخل الغرفة لمحاولة الحصول على نموذج لكتابة الآلة.

كان قد انتهى من تقفيل الكرة الصلبة ... فضغط على ورقة من أوراق الكتابة عدة مرات ... وفي كل مرة كان يحصل على نفس النتيجة؛ ورقة بيضاء لا أثر لشيء فيها. وثنى الأوراق بسرعة ووضعها في جيبه ... ثم انصرف إلى استكمال تركيب الآلة.

قرب المساء كان «خالد» قد انتهى من عمله ... وقام «جان» بتجرِبة الآلة وكانت النتيجة مرضيةً تمامًا ... فأشار برأسه لرئيس الشركة الذي فتح الخزانة وناول «خالد» مائة ليرة ... ثم أعطاه عشرين ليرةً أخرى وهو يبتسم قائلًا: هذه العشرين ليرة لك.

وشكر «خالد» الرجل بحرارة، وجمع أدواته وانصرف مسرعًا، وبعد نصف ساعة كان يجلس مع الشياطين الـ «١٣» يروي ما عمله ... وقامت «إلهام» بإرسال تقرير إلى رقم

«صفر» بكل ما حدث ... وفي نهاية التقرير ذكرت أن ورق التجارِب والولَّاعة التي بها الفيلم جاهزان.

وسرعان ما ردَّ رقم «صفر»، فشكر «خالد» على إتمام المهمَّة بنجاح ... وقال إنه سيُرسل من يتسلَّم الأوراق والولَّاعة ... وإنه سيُخطرهم بنتيجة الأبحاث عليها ... وسيُحدِّد لهم المطلوب منهم.

وفي اليوم الثالث أطلق جهاز اللاسلكي صفيره المتقطِّع ... وتسلَّم الشياطين تقريرًا مختصرًا ... ولكن التعليمات التي به كانت تعني أطول رحلة قام بها الشياطين الـ «١٣». كان التقرير يقول: «يستعد أربعة من الشياطين للسفر إلى «أوغندا» في أقرب فرصة.»

نظر الشياطين بعضهم إلى بعض وقال «خالد»: «أوغندا»؟!

ردَّ «قيس»: شيء مدهش في الحقيقة!

قال «رشيد»: ليس مدهشًا إذا تذكَّرتم أن الخطابات البيضاء كانت تُرسل إلى دولة أفريقية. وأعتقد أن هذه الدولة هي «أوغندا»؛ لهذا يطلب رقم «صفر» أربعةً للسفر إلى هناك.

زبيدة: معقول جدًّا.

إلهام: من هم الأربعة يا تُرى؟

أحمد: أعتقد أن «عثمان» أولهم.

قذف «عثمان» بكرته المطاطية الشهيرة إلى فوق وقال: أفريقيا تخصُّني ... ولا تنسَوا أن «أوغندا» على حدود السودان ... وأنا سوداني، وهذه المهمَّة تُناسبني جدًّا.

وقال «أحمد»: وأعتقد أن «خالد» ليس بينهم ... فإن موظفي الشركة التي نقوم بمراقبتها يعرفونه.

وقطع عليهم نقاشهم صوت جهاز اللاسلكي ... ودخلت «إلهام» إلى الغرفة، ثم عادت بعد قليل قائلة: لقد اختار رقم «صفر» أسماء المسافرين ... إنهم: «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» و«زبيدة».

وبدأ الأربعة يستعدُّون للسفر ... وبعد ساعة وصل تقرير ثالث: «لم نستطِع معرفة قراءة الورقة البيضاء ... ولكن الخبراء يقولون إن الرسائل تُوضع على آلة أخرى في فرع الشركة بـ «أوغندا» ... وأن الآلة الثانية هي التي تُوضِّح المكتوب في الرسالة ... ومطلوب من الأربعة المسافرين الحصول على نسخ من الرسائل التي أُرسلت وإخطاري بما فيها ... يُسافر الأربعة كسوَّاح ... والشركة تحمل نفس الاسم «ك. وراء البحار» في «كامبالا» العاصمة. ولْيأخذوا حذرهم فليس هناك من يُعاونهم.»

وسكتت «إلهام» لحظةً ثم مضت تقرأ: اتضح أن رئيس الشركة يُدعى «فرانك كتيك»، وكان يعمل مستشارًا للتعدين في «كاتانجا» بـ «الكونغو». وقد اشتغل بعد ذلك مع المرتزقة الذين وقفوا بجوار الحركة الانفصالية التي قام بها «تشومبي»، واستطاع أن يهرب قبل القبض عليه ... إنه رجل شديد الخطورة ... ومن المؤكَّد أن العمل السري الذي تقوم به الشركة خطير جدًّا ... تمنياتي لكم بالنجاح.

بدأ عم «سرور» عمله في حجز التذاكر ... وكان على المغامرين الأربعة أن يركبوا أولًا إلى «باريس» ... ثم يستقلُّون طائرةً أخرى تحملهم إلى «كامبالا» في قلب أفريقيا ... وتحدَّد موعد طيرانهم في الثانية بعد ظهر اليوم التالي ... وفي الموعد المحدَّد كان الأربعة يستقلُّون الطائرة إلى «باريس» ... ووصلوا في المساء ... وأُعلن عن تأخُّر الطائرة المسافرة إلى «كامبالا» ساعة، قضوها جالسين في كافتيريا المطار يتحدَّثون.

قال «عثمان»: هل تعرفون أن «أوغندا» يسمُّونها سقف العالم لارتفاعها ... وأن الفراعنة غزَوها منذ آلاف السنين، وأن أحد الفراعنة ويُدعى «بغنجي» كان أصلًا من «أوغندا»؟

قالت «زبيدة»: شيء مدهش ... إن هؤلاء الفراعنة تركوا بصماتهم على تاريخ العالم حتى في قلب أفريقيا!

مضى «عثمان» يقول: وكذلك دخل الإسلام إلى «أوغندا» في وقت مبكر جدًّا، واستمر لفترة من فترات التاريخ حتى عام ١٨٧٠م، عندما دخل الاستعمار الإنجليزي هناك، فقسموا الحكم بين اثنَين من «الكاباكا» أحدهما مسلم.

مرةً أخرى قالت «زبيدة» مندهشة: «كاباكا»!

عثمان: إنها كلمة أفريقية تعني الحاكم أو الزعيم.

بو عمير: ما هي يا تُرى حالة الطقس هناك في هذه الفترة من السنة؟

عثمان: «أوغندا» من أكثر دول العالم حرارة، وتصل درجة الحرارة صيفًا إلى ٧٥ درجة، ولا يُلطِّف هذه الحرارة الرهيبة إلَّا سقوط الأمطار المتواصل ليلًا ونهارًا.

بو عمير: إنها رحلة شاقة!

عثمان: على العكس. إن «أوغندا» من أجمل دول العالم ... حيث تتعدَّد المشاهد الطبيعية وتتواجد الحيوانات المتوحِّشة ... وتنبت أجمل الزهور.

وأذاع الميكروفون في المطار أن الرحلة رقم ٦٣٣ إلى «أوغندا» ستبدأ بعد ربع ساعة ... وقاموا متجهين إلى الطائرة.

وصلوا إلى مطار «كمبالا» حوالي منتصف الليل ... وكما قال «عثمان»، كانت الأمطار تهطل بغزارة، فأسرعوا جريًا إلى السيارات التي حملتهم إلى المدينة ... كانت الحياة لا تزال تدب في بعض الشوارع الهامة، ولكنهم قرَّروا أن يُسرعوا إلى النوم بعد رحلة اليوم الطويلة.

وبعد حديث قصير مع سائق التاكسي ... اختاروا فندق «انترناشونال» في شارع ستانلي لنزولهم؛ فقد كان مقر شركة «ك. وراء البحار» قريبًا من الفندق.

كان الفندق مبنيًّا على الطراز الإنجليزي الشائع في المدينة، بأسقفه المنحنية الحمراء، تُحيط به الخضرة من كل جانب، وتحت الأضواء والمطر بدا شكله شاعريًّا.

دخلوا الصالة الواسعة واتجهوا إلى موظَّف الاستقبال ... وحجزوا في الدور الثاني غرفةً مفردةً لـ «زبيدة»، وحجرةً بثلاثة أسرة للشبَّان الثلاثة ... وقال «أحمد»: سنعقد اجتماعًا بعد نصف ساعة ... نُقرِّر فيه خطوات العمل غدًا.

وبعد نصف ساعة كانوا يجلسون معًا ... وبدأ «أحمد» الحديث بقوله: أعتقد أن مهمَّتنا ليست سهلة ... فنحن نُريد الحصول على الرسائل البيضاء السرية، وكل ما نعرفه عنها أنها تُكتب على ورق معيَّن ... وأنها موجودة في مقر الشركة، وليس لنا هنا مساعدين يمكن أن نعتمد عليهم.

فليس أمامنا إلَّا أن نعتمد على أنفسنا ... فما هي الأفكار التي يمكن أن نُطبِّقها؟!

لم يردَّ أحد لبضع دقائق، ثم قال «بو عمير»: ليس هناك إلَّا أن نُحاول دخول مقر الشركة ليلًا ... إن معنا «زبيدة»، وهي تُجيد فتح الخزائن المغلقة ... ولعل رقم «صفر» اختارها لهذا السبب.

أحمد: إنها الخطة التي يتجه إليها التفكير مباشرة، ولكن مخاطرها كثيرة ... أولًا: اقتحام الشركة ليس مهمَّة سهلة ... ثانيًا: إذا قُبض علينا سيكون من المستحيل أن نجد مساعدةً من أي نوع ... وطبعًا نحن لا نستطيع شرح مهمَّتنا وهي أننا نعمل من أجل الصالح العام.

قالت «زبيدة»: أعتقد أنه من الأفضل أن نقضي بضعة أيام نُراقب ... ونفحص مكان الشركة وكيفية اقتحامها ... وقد نجد وسيلةً أفضل.

هزَّ «عثمان» كرته المطاط الجهنمية في يده لحظات ثم قال: أرى أن فكرة «بو عمير» هي الفكرة الممكنة.

أحمد: إنني أوافق أكثر على فكرة «زبيدة».

وفجأةً قالت «زبيدة»: لماذا لا نسأل عن نشاط الشركة هنا ... إن نشاطها في «لبنان» والمنطقة العربية متعلِّق ببيع المواد الكيماوية. إن النشاط السري للشركة ليس واضحًا في «لبنان»، ولكن قد تكون له ملامحه هنا.

أحمد: هل تقصدين أنه يمكن الاستغناء عن الحصول على الخطابات، وأن معرفة نشاط الشركة السري يمكن أن يدلَّنا على ما يُكتب فيها؟

زبيدة: تقريبًا ... إن هذه الخطابات تأتي من مقرِّ الشركة الرئيسي في «لبنان» إلى فرعها في «كمبالا»؛ لتنفيذ أشياء معيَّنة. ما هي هذه الأشياء؟ إذا عرفناها فكأننا حصلنا على الرسائل.

ابتسم «أحمد» لأول مرة وقال: إنني متفق معكِ ... فلْنحاول أولًا معرفة نشاط الشركة ... فإذا لم نستطِع فلم يبقَ أمامنا إلَّا اقتحام مقر الشركة ... فلا بد من معرفة ما يدور هناك.

«كالنجانو»!

استيقظ الشياطين الأربعة مبكِّرين ... كان المطر ما زال يهطل فوق المدينة الخضراء «كمبالا». وقرَّروا شراء معاطف بلاستيك للمطر ... ثم اتجهوا إلى مقر شركة «ك. وراء البحار» ... كانت الشركة تشغل عمارةً ضخمة ... ويقف على بابها حارسان من الأوغنديين في ملابس حمراء ... ووقف أمامها عدد من السيارات الفاخرة، وسيارات النقل والدراجات النارية «الموتوسيكلات». وكان واضحًا للأربعة دون أي حديث أن اقتحام هذه القلعة الحصينة هو ضرْب من المستحيل.

وقفوا بعيدًا يرقبون المبنى الشامخ تحت المطر ... وفي أذهانهم عشرات الأفكار عن المهمَّة المكلَّفون بها. وخرج أحد الرجال من الشركة. كان يرتدي ملابس تُشبه إلى حدٍّ كبير ملابس الجنود، ويحمل حقيبةً صغيرة، وقفز إلى إحدى الدراجات النارية وضغط على المحرِّك، فأطلقت طرقعاتها الداوية.

ثم استدار وانطلق مسرعًا ... ومرَّ بالشياطين الأربعة فقال «بو عمير»: إنه ساعي البريد.

ردَّد «أحمد» الكلمتَين بصوت مسموع: ساعي بريد.

ثم استدار إلى الشياطين وقال: ساعي بريد ... هل سمعتم؟ إن هذا يعني شيئًا كثيرًا.

وهزَّ الشياطين رءوسهم بالموافقة ... كان هذا يعني بالنسبة لهم شيئًا مهمًّا فعلًا، وقال «أحمد»: هيَّا بنا.

وقبل أن يتحرَّكوا برز من جانب الشركة ولد في مثل سنهم يحمل مجموعةً من التماثيل الأفريقية المصنوعة من الخشب ... واتجه إليهم سريعًا وهو يبتسم فيكشف عن صفَّين من الأسنان البيضاء اللامعة، وتقدَّم منهم قائلًا: صباح الخير. مطر كالمعتاد.

ردَّ «أحمد»: هل ستظل تُمطر؟

ردَّ الولد: نعم؛ إننا في موسم الأمطار.

ثم مدَّ يده بأحد الأقنعة الأفريقية وقال: خذ قناعًا يا صديقي. إنه قناع «كوانجا»، وهو يجعلك إنسانًا محبوبًا.

ثم ابتسم الولد ومدَّ يده بسوار إلى «زبيدة» قائلًا: خذي هذا يا آنستي ... إنه سوار «نسيبي» وعليه تعاويذ وأدعيات قام بها ساحر الغابة ليحميك من عيون الحاسدين.

ابتسمت «زبيدة»، ثم مدَّت يدها إلى السوار المزركش وأخذته قائلة: المهم ألَّا يكون ثمنه مرتفعًا؟

وضحك الشياطين وهم يُراقبون «زبيدة» تلبس السوار وتدفع الثمن راضية، وقال «أحمد» للولد الأوغندي: ما اسمك يا صديقي؟

ردَّ الولد: «كالنجانو» في خدمتك!

أحمد: هل تعمل هنا منذ فترة طويلة يا «كالنجانو»؟

كالنجانو: نعم، منذ أن عرفت كيف أتحدَّث ... فقد ورثت هذه المهنة عن أبي الذي مات ... ومن أرباحي القليلة أُنفق على أسرتي.

تردَّد «أحمد» لحظات ثم عاد ليسأل الولد: هل دخلت شركة «ك. وراء البحار» يا «كالنجانو»؟

كالنجانو: طبعًا يا صديقي؛ فأحد أقاربي يعمل هناك. وكلما طلبوا شراء شيء من الأقنعة أو التماثيل أو أدوات الزينة الأفريقية أرسل لي قريبي «بوسو» لأزوِّدهم بما يطلبون. وأنا أعرفهم فردًا فردًا تقريبًا.

أدرك الشياطين الأربعة أهمية معلومات «كالنجانو» بالنسبة لهم، ولكن «أحمد» فضَّل أن يكون حذرًا في البداية فقال لـ «كالنجانو»: إننا الأربعة نقوم بسياحة في المنطقة، هل يمكن أن تجد لنا مرافقًا؟

ردَّ «كالنجانو» متحمِّسًا: أستطيع أن أرافقكم أنا يا صديقي ... فالسوَّاح قليلون في موسم الأمطار، وقد مضى يومان لم أبِع فيهما قطعةً واحدة.

أحمد: إننا نُقيم في فندق «انترناشونال»، وسننتظر حضورك بعد ساعة فعندنا زيارة صغيرة الآن.

قال «كالنجانو» متحمِّسًا: سأكون عندكم في الموعد يا صديقي.

واستدار الأربعة واتجهوا مسرعين إلى الفندق ... سأل «عثمان»: ما هي الزيارة التي سنقوم بها الآن؟

ردَّ «أحمد» مبتسمًا: هل صدَّقت هذه الكذبة الصغيرة؟! لقد قصدت فقط أن نعقد اجتماعًا عاجلًا لنُناقش فيه خطتنا بعد أن تعرَّفنا على «كالنجانو» ...

عثمان: ولكنه يبدو طيبًا، ويمكن الثقة به.

أحمد: لا بد من اختباره أولًا لمدى ثقتنا فيه ... لقد وضعته الصدفة في طريقنا، ولكن يجب أن نكون على حذر.

ووصلوا إلى الفندق، وجلسوا في أحد أركان الصالة ودار بينهم حديث طويل عن «كالنجانو» والمعلومات التي يعرفها عن الشركة، وقريبه «بوسو» الذي يعمل بها ... واستقرَّ رأيهم على أن يعرفوا منه أكبر قدر من المعلومات بطريق غير مباشر، دون الإشارة إلى مهمَّتهم الأصلية.

ووصل «كالنجانو» تسبقه ابتسامته الواسعة ... فأدار في الصالة نظرةً مستطلعة، ثم اتجه إلى الأصدقاء الذين استقبلوه بحرارة وطلبوا له شيئًا ليشربه، ثم أخذوا يتحدَّثون معه عن المصنوعات التي يبيعها، وعن أرباحه. وكان «كالنجانو» ظريفًا، أثار ضحكاتهم بحديثه عن حياته وأسرته الصغيرة.

وبدأ «أحمد» يُوجِّه أسئلته الذكية إلى «كالنجانو».

سأله: هل الاتصال بين «كمبالا» والعالم سهل؟

كالنجانو: طبعًا ... إن عندنا نظامًا ممتازًا للاتصالات، سواء بالبريد أو البرق أو التليفون.

أحمد: ولكن يبدو أن لكل شركة نظامًا خاصًّا.

كالنجانو: كيف؟

أحمد: لقد شاهدت ساعيًا للبريد يخرج من شركة «ك. وراء البحار» يحمل رسائلها لعله سيوصلها إلى مكتب البريد.

ابتسم «كالنجانو» قائلًا: إن لشركة «ك. وراء البحار» نظامًا خاصًّا فعلًا؛ فعندها عدد من سُعاة البريد يركبون الدراجات النارية لتوصيل البريد نهارًا وليلًا.

أحمد: ليلًا!

كالنجانو: نعم ... فقد شاهدتهم مرارًا يخرجون في الظلام يحملون رسائل إلى مناطق متفرِّقة خارج المدينة ... ليس فقط رسائل، هناك سيارات نقل أيضًا تخرج ليلًا تحمل البضائع إلى الغابة.

بدا حديث «كالنجانو» مثيرًا جدًّا للشياطين.

قال «أحمد»: ولكن لمن في الغابة يُرسلون هذه البضائع؟

كالنجانو: لا أدري. ولكن الطريق الشمالي إلى الغابة يمر بكوخ «ميجيا» ... ويمكننا سؤاله.

أحمد: «ميجيا»! ... من هو «ميجيا»؟

كالنجانو: إنه الأب، حارس الغابة وعرَّافها العجوز.

أحمد: هل يعرف «ميجيا» شيئًا عن بريد شركة «ك. وراء البحار»؟

كالنجانو: إنه عرَّاف الغابة، ولا بد أنه يعرف كل شيء، ولكن لا بد أن تأخذوا له بعض الهدايا.

وضع «أحمد» يده في جيبه وأخرج بعض النقود أعطاها لـ «كالنجانو» قائلًا: خذ هذا المبلغ واشترِ لـ «ميجيا» ما يُحبه، وخذ موعدًا لنا معه.

كالنجانو: بعد الغروب سأمرُّ عليكم ونذهب معًا.

وخرج «كالنجانو»، والتفت «أحمد» إلى الشياطين فقالت «زبيدة»: لقد أدرت الحديث بمهارة. المهم أن يكون «ميجيا» يعرف فعلًا ما نُريد معرفته.

بو عمير: وألا يشك «كالنجانو» في حديثنا؛ فلعله يسأل نفسه عن سر اهتمامنا ببريد شركة «ك. وراء البحار»؟

زبيدة: أعتقد أنه لم يشك في شيء.

بو عمير: لعله كان من الواجب أن نُحذِّره من أن يتحدَّث عنا، خاصةً إلى قريبه «بوسو» الذي يعمل في الشركة.

نظر «أحمد» إلى ساعته وقال: لعله لن يلتقي به الآن؛ فسوف يشغل نفسه بشراء الهدايا.

زبيدة: سيتضح كل شيء عندما نلتقي بالساحر «ميجيا».

هبط المساء الاستوائي سريعًا، واستعد الشياطين، ولكن «أحمد» قال: سأذهب مع «عثمان» فقط، وستبقيان هنا يا «بو عمير» أنت و«زبيدة»؛ فنحن لا ندري ما هي تطوُّرات الأحداث المقبلة؟

قال «بو عمير»: سنخرج أنا و«زبيدة» لمشاهدة المدينة، وقد نجد مكانًا نقضي فيه بعض الوقت.

أحمد: في جميع الظروف إذا تأخَّرنا لا تُخطر أحدًا قبل الصباح، وبعدها اتصل برجال الشرطة وقل لهم كل شيء، ثم أرسل برقيةً إلى رقم «صفر».

بو عمير: هل تتوقَّع شرًّا؟!

أحمد: من المفروض أن تتوقَّع كل شيء.

وعندما هبط الظلام خرجا ووقفا أمام الباب، ولم تمضِ إلَّا دقائق قليلة ثم ظهر «كالنجانو» تسبقه ابتسامته كالعادة. وبعد السلام قال «أحمد»: كيف سنذهب؟

كالنجانو: يمكننا ركوب الأتوبيس حتى طرف المدينة، وبعدها سوف نسير على أقدامنا.

أحمد: فلْنستقل تاكسيًا حتى لا نُضيع وقتًا.

وركبوا تاكسيًا، وتحدَّث «كالنجانو» إلى السائق، وانطلقت السيارة تحت المطر، فقطعوا الشوارع المضيئة في وسط المدينة، و«أحمد» ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى محاولًا معرفة كل مسافة يقطعونها واتجاههم. ثم وصلوا إلى طرف المدينة الشمالي بعد نصف ساعة تقريبًا، ونزلوا معًا.

كان الظلام مخيِّمًا على المكان الذي نزلوا فيه، عدا ضوء أخير كان في طرف الشارع، وقال «كالنجانو»: اتبعاني.

ومشى الثلاثة محاذرين، فقطعوا منطقةً مكشوفة، ثم وصلوا إلى طرف الغابة، وبعد خطوات قليلة دخلوا في عمق الأشجار الملتفَّة، وأخذت أصوات الحشرات والحيوانات تنطلق حولهم، وأخرج «أحمد» بطاريةً صغيرة أطلق أشعتها الرفيعة أمامهم، فكشفت عن طريق مترَّب في وسط الغابة الكثيفة، ومضوا صامتين.

وكلما توغَّلوا في الغابة ارتفعت أكثر وأكثر أصوات الأسود البعيدة، وأصوات الطيور، وبين مسافة وأخرى كانوا يلتقون بأكواخ صغيرة من الطين والأغصان تُضيئها المشاعل، ويجلس حولها عدد من المواطنين في شكل حلقة ... بينما كان عدد منهم يرقص على دويٍّ الطبول العميق الموحش، فتتجاوب به جنَبات الغابة المظلمة.

«رونزوري» ... «رونزوري»!

استمرَّ السير ... وكلما أوغلوا في الغابة ازداد دقُّ الطبول ارتفاعًا ... ولم يتمالك «أحمد» نفسه من الإحساس برِعدة سرت في جسده. الظلام ... والمطر المتساقط بانتظام متخلِّلًا الأغصان ... وأصوات الحيوانات والطبول ورائحة الغابة الثقيلة ... والساحر الذاهبين إليه.

وانحرفوا إلى طريق فرعي ووقف «كالنجانو» فجأةً وقال: انتظرا لحظات واحتفظا بالهدايا معكما حتى أُقابل «ميجيا» ... وأُخبره بحضوركما وبما تحملان له من الهدايا.

واختفى «كالنجانو» في الظلام ... ووقف «أحمد» و«عثمان» يلتقطان أنفاسهما بعد رحلة الليل الطويلة في أحشاء الغابة، وقال «عثمان»: يا له من موقف!

ردَّ «أحمد» وهو يتنهَّد: لقد قرأتُ عن الغابات كثيرًا، ولكني لم أكن أتصوَّر أن تكون بهذه الوحشة والرهبة.

عثمان: المهم أن يكون هذا اللقاء مثمرًا، وأن نحصل على المعلومات التي نُريدها، ولا يكون كمينًا لا نستطيع الفكاك منه.

أحمد: معك حق، فلو أن «كالنجانو» روى لقريبه «بوسو» الحديث الذي دار بيننا، ونقل «بوسو» هذا الكلام إلى رؤساء الشركة؛ لكنا كمن يُلقي نفسه في فم الأسد.

عثمان: لا أظن أن الوقت قد اتسع لـ «كالنجانو» و«بوسو» أن يتحدَّثا، وأن يقوم أصحاب الشركة بإعداد كمين.

أحمد: لا أدري لماذا أُحس أنني واثق في هذا الولد «كالنجانو» ... إنه أسود اللون، ولكن قلبه كما أعتقد شديد البياض.

عثمان: هذا أيضًا كان شعوري منذ لقائنا الأول معه.

أحمد: لهذا إذا نجحتْ هذه المقابلة؛ فسوف أُشركه في المغامرة دون أن نُحيطه علمًا بكل التفاصيل.

عثمان: إنني أوافق!

وظهر «كالنجانو» فجأةً كما اختفى وقال: لقد وافق «ميجيا» العجوز على مقابلتكما. وسارا خلفه على ضوء مشاعل بعيدة، ثم وجدوا أنفسهم في ساحة واسعة بها بِركة من الماء الراكد، وعلى طرف البركة كوخ صغير من أغصان الشجر، وعلى باب الكوخ وقف «ميجيا» مستندًا على عصًا طويلة.

كان يقف على ساق واحدة، وساقه الأخرى مثنية، ولم يكن عليه من الثياب إلَّا عِقد كبير من عُقود الخرز قد تدلَّت من رقبته والتمعت حبَّاتها على ضوء المشاعل. وقُرب وسطه التفَّ جلد نمر قديم. وفي ذراعَيه وساقَيه التفَّت عشرات الأساور. كان صورةً لساحر الغابة كما يوصف في الكتب.

انحنى «كالنجانو» لـ «ميجيا»، فانحنى «أحمد» و«عثمان» أيضًا. وتحدَّث «كالنجانو» في صوت لاحظ «أحمد» و«عثمان» أنه يحمل علامات الخشوع والاحترام، رغم أنهما لم يفهما كلمةً واحدةً ممَّا قاله. وردَّ الساحر بثلاث كلمات بصوت عميق كأنه يأتي من مكان سحيق.

ورفع «كالنجانو» رأسه وقال: لقد وافق الساحر العظيم «ميجيا» على أن يتحدَّث إليكما بعد أن يرى الهدايا.

ومدَّ «أحمد» يده بالهدايا إلى «كالنجانو» ... الذي سلَّمها بدوره بكل احترام إلى «ميجيا»، ودخل «ميجيا» إلى الكوخ ثم عاد بعد لحظات ودعاهم للدخول.

دخل الثلاثة خلف «ميجيا» ... وكان الكوخ من الداخل مكوَّنًا من أغصان الأشجار وجلود الحيوانات ... وقد أضاءه مشعل واحد كبير كان يُلقي بدخانه الكثيف في حَلق «أحمد» و«عثمان». وعلى الأرض كانت ثمة نار مشتعلة وعليها إناء من الفَخار به سائل أخضر يغلي.

جلس الساحر أمام النار المشتعلة، وعندما وقع بصر «أحمد» على وجهه كاد يفر هاربًا؛ كان وجهه يشبه مومياء محنطة، وقد تشقَّق خدَّاه وجبهته بشقوق عميقة، وتدلَّت من أذنَيه ومن أنفه أساور لامعة. وعلى رأسه كانت طاقية من جلد قرد أَسود ... وقد أحاط عينَيه الناريتَين بالكحل الأسود.

تحدَّث «كالنجانو» إلى «ميجيا» بحديث طويل استخدم فيه يدَيه، وبين لحظة وأخرى كان يُشير بإصبعه إلى الصديقَين ... وكانت نظرات الساحر مركِّزةً عليهما حتى أحسَّ «أحمد» بركبتَيه ترتعشان.

استمع الساحر إلى حديث «كالنجانو» حتى انتهى، ثم هزَّ عصاه في يده وأخذ يرد. ولاحظ «أحمد» كما لاحظ «عثمان» أن كلمة «رونزوري» كانت تُردَّد كثيرًا في حديثه. وتذكَّر «أحمد» أنه سمع هذه الكلمة من قبلُ عندما كان يتحدَّث مع موظَّف الاستقبال في الفندق عن الأماكن السياحية. وعندما انتهى الساحر من حديثه قال «كالنجانو» موجِّهًا حديثه إلى الصديقَين: إن «ميجيا» يقول إنه يعرف كل شيء ... وهو يعرف لماذا حضرتما إلى أرضنا الخضراء.

وأحسَّ «أحمد» و«عثمان» بارتجاف شديد ... هل صحيح أن الساحر يعرف لماذا حضرا؟ ومضى «كالنجانو» يقول: إن «ميجيا» قرَّر أن يساعدكما على تحقيق الهدف الذي حضرتما من أجله؛ فقد قالت له الأرواح إنكما طيبان.

وحمد «أحمد» و«عثمان» الله في سرهما أن «ميجيا» المخيف قد تعطَّف عليهما بالمساعدة، وأنه وصفهما بالطيبة.

ثم جلس الساحر العجوز وأشار إليهم أن يجلسوا حول النار، ومدَّ يده على مجموعة من الأكواب الخشبية، وبدأ يملؤها بالسائل الأخضر الذي كان يغلي على النار ... وشعر «أحمد» أن أمعاءه تضطرب؛ فمن المؤكَّد أن الساحر سيُكرمه بكوب من الشراب السحري.

وهذا ما حدث؛ فقد مدَّ يده بالأكواب إلى «كالنجانو» بعد أن قرأ عليها تعويذةً سريعة. وقال «كالنجانو» وهو يمد يده بالكوب إلى «عثمان»: إن «ميجيا» يطلب منكما أن تشربا معه عربون الصداقة. إنه سائل مقدَّس قرأ عليه «ميجيا» تعويذةً سحريةً تحميكما من الأخطار وتنصركما على الأعداء.

وتناول كلٌّ من «عثمان» و«أحمد» كوبَيهما، واختلسا نظرةً كان في عينَي كلٍّ منهما خوف غامض من هذا السائل، ولكن لم يكن هناك بد من شُربه.

على غير ما توقَّع «أحمد» ... كان طعم السائل حلوًا ... واكتشف أنه جذور أعشاب ... وحمد الله أن معدته لم تنقلب. وأشار «أحمد» إلى «كالنجانو» وقال: هل سألتَ «ميجيا» عن بريد شركة «ك. وراء البحار»؟

ردَّ «كالنجانو»: نعم، وسأتحدث إليه مرةً أخرى.

وبلغتهما الغريبة تحدَّث «كالنجانو» و«ميجيا» فترةً طويلة، ثم التفت «كالنجانو» إلى «أحمد» وقال: إن «ميجيا» يعرف كل شيء. وأعوانه المنبثُّون في كل أنحاء الغابة ينقلون له الأخبار، وهو يقول لك إن البريد يُنقل بوسائل كثيرة ... منها الدراجات النارية، والقوارب، والأشخاص، وبالطبول أيضًا. وذلك عبر الغابة إلى داخل حدود السودان.

دُهش «أحمد» وقال: السودان!

كالنجانو: نعم. الرسائل تُنقل إلى السودان، وأحيانًا تكون في شكل طرود ثقيلة تُنقل إلى الحدود ويتسلَّمها هناك بعض الأشخاص.

وتحدَّث «كالنجانو» مع «ميجيا» مرةً أخرى، ثم عاد يقول لـ «أحمد»: إن «ميجيا» يعرف من أين تأتي الطرود؛ إنها تأتي من «رونزوري».

أحمد: ماذا تعني كلمة «رونزوري»؟

كالنجانو: إنها تعني جبال القمر حيث توجد مناجم النحاس، وهو أهم مستخرجات الأرض من المعادن في «أوغندا».

أحمد: قل لـ «ميجيا» إننا نشكره جدًّا، وإننا سنُحضر له هدايا أخرى ... ولكن لنا طلب أخير ... إننا نُريده أن يُوصي بعض أصدقائه في «رونزوري».

وتحدَّث «كالنجانو» إلى «ميجيا» ... ثم عاد يقول: إن «ميجيا» ينصح ألَّا يذهب أحد منكم إلى «رونزوري»؛ إنها رحلة خطرة.

أحمد: قل له إننا لا بد أن نذهب لنعرف حكاية الطرود.

وعاد «كالنجانو» يتحدَّث إلى «ميجيا»، ثم قال: إن «ميجيا» سيوصي عليكما ... ستُدق الطبول عندما يرتفع القمر إلى منتصف السماء ... وستصل رسالة الطبول خلال الغابة إلى قبيلة «الهوتو» أصدقاء «ميجيا».

ووقف «أحمد» و«عثمان» وانحنيا إعلانًا لشكرهما لـ «ميجيا» الذي رفع يدَيه إلى أعلى كالطائر ثم أطلق مجموعةً من الأصوات، ثم خفض ذراعَيه وأغمض عينَيه ... وأشار «كالنجانو» للصديقَين وانسحب الثلاثة في هدوء.

عادوا يسيرون في دروب الغابة المظلمة ... وقال «كالنجانو»: لحسن الحظ أن «ميجيا» هو «ويركوا» هام جدًّا في بلادنا وهو راضٍ عنكما.

أحمد: ماذا تعني بكلمة «ويركوا»؟

كالنجانو: معناها العرَّاف أو الساحر!

واستمروا يسيرون حتى أشرفوا على نهاية الغابة.

واستأذن «كالنجانو» قائلًا: إنني أسكن قريبًا من هنا، وسأترككما الآن.

أحمد: إننا نُريدك معنا في الرحلة إلى «رونزوري».

كالنجانو: ولكن لا بد أن أبيع بعض مصنوعاتي حتى أجد ثمن الطعام لي ولأسرتي.

أحمد: سوف ندفع لك ما يكفي للتعويض عن الأيام التي ستقضيها معنا.

كالنجانو: هل ستذهبون سيرًا على الأقدام؟!

أحمد: لا طبعًا.

كالنجانو: سنحتاج إلى سيارة قوية، ثم نركب زورقًا في النهر، ثم نسير حتى نصل إلى «رونزوري».

أحمد: تعالَ غدًا صباحًا لنُجهِّز كل شيء للرحلة ... إن معنا ما يكفي لشراء السيارة وبقية ما نحتاجه للذهاب إلى «رونزوري».

وافترق عنهما «كالنجانو» ... وواصلا سيرهما تحت المطر حتى وجدا تاكسيًا حملهما إلى الفندق.

وجدا «زبيدة» و«بو عمير» في غاية القلق ... يجلسان في صالة الفندق وعيونهما على الباب ... وجلس الأربعة وتولَّى «عثمان» رواية ما حدث ... وانتهى إلى القول: سنُجهِّز أنفسنا غدًا للذهاب إلى «رونزوري» ... هناك سنعرف سر الشِّحنات التي تُرسلها شركة «ك. وراء البحار» خلال الغابة إلى السودان، وإلى جهات أخرى متفرِّقة من «أوغندا».

وتناولوا العشاء في مطعم الفندق، ثم صعدوا إلى أسِرَّتهم، فقضوا بعض الوقت في الحديث، ثم استلقى كلٌّ منهم على فراشه.

ظلَّ «أحمد» مستيقظًا بعض الوقت ... كان يُفكِّر في مغامرة الغد ... لقد كانت تعليمات رقم «صفر» أن يحصلوا على نماذج من رسائل شركة «ك» السرية، ولكن من الواضح أن من المستحيل دخول مقر الشركة سواء نهارًا أو ليلًا ... فلْتكن إذن محاولتهم بعيدةً عن «كمبالا» العاصمة، وتكون في قلب الغابة أو عند «جبال القمر» ... وكان يعرف أنها مغامرة مخيفة ... فشركة «ك» شركة قوية ذات نفوذ ... ومن المؤكَّد أن لديها مجموعةً ضخمةً من الحرَّاس، وأن الحصول على معلومات عن حقيقة نشاطها السري يستدعي شجاعةً منقطعة النظير ... ولكن في نفس الوقت لا بد من تنفيذ التعليمات.

وأغمض عينَيه وهو يتمتم: «رونزوري» ... «رونزوري».

الطبول!

قضى الشياطين الأربعة و«كالنجانو» صباح اليوم التالي يُجهِّزون السيارة الجيب وأدوات الرحلة إلى «رونزوري»، وحرص «أحمد» على أن يحملوا معهم مسدساتهم، وبعض الأدوية للإسعافات العاجلة. وفي المساء اجتمعوا حول خريطة الرحلة ... كانت «كمبالا» تقع على الساحل الشمالي لبحيرة «فيكتوريا»، أكبر بحيرات أفريقيا، حيث ينبع نهر النيل. وكانت رحلتهم إلى «رونزوري» في طريقٍ يتجه إلى الشمال الغربي من البحيرات العظيمة، في طُرق تُغطيها الغابات والمستنقعات. وبعد أن وضعوا الخطوط العريضة لرحلتهم ناموا جميعًا مبكِّرين.

في فجر اليوم التالي أخذت السيارة الجيب القوية تنزلق على الأرض المبتلَّة من أثر المطر المنهمر، يقودها «أحمد» ... وبعد ساعة كانوا قد خرجوا من المدينة إلى الغابات الكثيفة، واختفى ضوء النهار، وأضاء «أحمد» كشَّافات السيارة القوية، ومضى يشق طريقه ببطء تحت الأشجار الملتفَّة، وبين حين وآخر كانت تعترض طريقهم بعض الحيوانات المتوحِّشة ... تنظر إليهم في دهشة ... ثم تمضي في طريقها. وحتى منتصف النهار كانوا قد قطعوا مسافةً لا بأس بها، وتوقَّفوا بجوار شجرة ضخمة، ونزلوا يتناولون غداءهم. كان الجو خانقًا من أثر الرطوبة المرتفعة ... وكان المطر ينفذ خلال أفرع الأشجار الكثيفة وينساب في مجارٍ صغيرة تسيل حولهم في كل مكان. وأخذت طيور الغابة تُرسل أغنياتها المرحة فخفَّفت من أثر الجو المقبض عليهم ... وفجأةً صرخت «زبيدة» وقفزت إلى الأمام. ووقف الأصدقاء ينظرون إليها في دهشة ... ومالت «زبيدة» إلى الأمام تحك ساقها ... وسقطت حشرة ضخمة تُشبه الصرصار من فتحة البنطلون الذي كانت ترتديه.

وقال «كالنجانو» مبتسمًا: قملة الغابة. إنها غير مؤذية!

زبيدة: ولكنها قرصتني.

كالنجانو: نعم. لها قرصة موجعة، ولكن لحسن الحظ ليست سامة. إن ما يجب أن تخافي منه حقًّا هو ذبابة «تسي تسي» المرعبة.

أحمد: فعلًا ... إنني أخشاها أكثر من الرصاص!

كالنجانو: إنها ليست منتشرةً هنا كثيرًا ... فهي تكثر في المستنقعات الشمالية بعد «رونزوري».

بو عمير: هل المسافة الباقية في الغابة طويلة؟

كالنجانو: إذا سرنا بنفس السرعة فسنصل إلى نهاية الغابة قرب المساء، وبعدها نُغادر السيارة ونستقل قاربًا في نهر «كاتونجا» الصغير ... إنه نهر سريع الجريان، يحفل بالتماسيح، ونرجو أن نقطعه بسلام.

أخرجت «زبيدة» ترمسًا وتناولوا بعض أقداح الشاي، ثم عادوا إلى السيارة، وأدار «أحمد» المحرِّك وانطلق. مضت السيارة تزحف في الطريق المتعرِّج داخل الغابة. كانوا صامتين جميعًا يُفكِّرون في هذه المغامرة الغريبة التي لم يمرُّوا بها من قبل. عندما سمعوا وسط أصوات الغابة التي اعتادوا عليها صوتًا غامضًا لطبول تدق، وسرعان ما تنبَّه «كالنجانو» وأصبح كالقط المتوحِّش ... وبدت في عينَيه نظرة لامعة، وطلب من «أحمد» أن يوقف السيارة.

توقَّف الموتور، وسكنت السيارة مكانها، وخيَّم صوت ثقيل لا تقطعه سوى أصوات الطيور والحيوانات، ولكن «كالنجانو» فتح نافذة السيارة وأطل في الظلام المخيف وأخذ يستمع، واستمع معه الأصدقاء. وأخذ صوت الطبول يرتفع تدريجيًّا: بم بم، بم بم، طم، طم، طم طم طم ... بم بم.

قال «كالنجانو» مسرعًا: سنُغادر السيارة. إننا نتعرَّض لهجوم!

وقفز الشياطين، وقال «كالنجانو»: تعالَوا خلفي.

وساروا خلفه، وكان الشاب الأسمر يختفي أحيانًا في ظلمة الغابة ... وكذلك «عثمان»، ولكنهم كانوا يجتمعون في النهاية. ثم أشار «كالنجانو» لهم بالوقوف. وكان صوت الطبول قد ارتفع حتى أصبح يصم الآذان. وأشار «كالنجانو» إلى مجموعة من النباتات النامية فاستلقَوا خلفها، وحرَّك «كالنجانو» بعض الأغصان، وعلى الفور شاهدوا ساحةً متسعةً من الأرض المنبسطة، في وسطها دائرة من النيران المشتعلة، وفي قلب الدائرة رُمح ضخم قد ثُبِّت بالأرض، وحول الدائرة وقف أكثر من ستين رجلًا يتحرَّكون إلى الأمام والخلف على وقع الطبول المخيف، وهم يضربون الأرض بأقدامهم في وقع رتيب قوي ... ويرفعون أصواتهم في

غناء كالأمواج الهادرة ... وفي أيديهم الرماح ترتفع وتهبط ... والنصال الحديدية المصقولة تبعث ومَضات كأشعة الشمس عندما تسقط عليها أضواء النيران.

قال «كالنجانو» بصوت مرتجف: إنها رقصة الحرب.

بو عمير: ومن سيحاربون؟

كالنجانو: نحن.

بو عمير: لماذا؟!

كالنجانو: لقد كانت الطبول تحمل رسالةً إليهم. إن هناك غرباء في الغابة.

أحمد: وهل يُحاربون كل الغرباء؟

كالنجانو: لا ... إن الطبول قالت إن هناك غرباء في طريقهم إلى «رونزوري»، وإنهم سيعتدون على معبد «الكاباكا» المقدَّس.

أحمد: ولكننا لا ننوي الاعتداء على أحد!

كالنجانو: إن عدوًّا لنا أرسل لهم معلومات كاذبةً عنَّا.

زبيدة: ولكن نحن لا أعداء لنا!

فكَّر «أحمد» لحظات ثم قال: يبدو أن الرسالة التي أطلقها «ميجيا» قد التقطها بعض جواسيس شركة «ك»، وأن الشركة تُريد منعنا من الوصول إلى «رونزوري».

كالنجانو: هذا معقول جدًّا.

زبيدة: وما العمل؟

كالنجانو: لن نعود إلى السيارة؛ إنهم سيعرفون طريقها بسرعة.

أحمد: ولكننا نحتاج إلى الأسلحة وبعض الأدوات الضرورية.

كالنجانو: فلْيذهب أحدكم وسنبقى للمراقبة.

عثمان: سأذهب مع «بو عمير».

وانطلق الاثنان إلى السيارة، بينما بقي «كالنجانو» و«أحمد» و«زبيدة» يراقبون المشهد المثير؛ الطبول والرماح والرقص والأصوات الوحشية التي يُطلقها الرجال وهم يرقصون حول النيران المشتعلة.

مضت نصف ساعة والرقصة المرعبة مستمرة. وعاد «عثمان» و«بو عمير» يحملان الأسلحة وبعض الأطعمة والملابس، فوزَّعاها سريعًا، وقال «كالنجانو»: سنسير في خطٍّ متعرِّج ونعود إلى «كامبالا».

قال «أحمد»: ما رأيك أن نُدير محرِّك السيارة ونطلقها وحدها. إن هذا سوف يلفت أنظارهم، ويمنحنا بعض الوقت للهرب.

كالنجانو: إنها فكرة مدهشة يا صديقي!

أحمد: ولكننا لن نعود إلى «كمبالا» يا «كالنجانو» ... سوف نستمر في طريقنا إلى «رونزوري». لقد قمنا من أجل هدف معيَّن ... ولا بد من تحقيق الهدف.

فكَّر «كالنجانو» لحظات فقال «أحمد»: إن معنا الخريطة ونستطيع السير بها، وأنت في إمكانك أن تعود فلسنا نُحب أن نُعرِّضك للخطر معنا.

قال «كالنجانو»: كيف تُفكِّر بهذه الطريقة يا صديقي؟ إنني لا أخشى الخطر على نفسي، إنني أخشاه عليكم.

ابتسم «أحمد» ومدَّ يده وصافح الفتى الأوغندي الشجاع، وأسرع إلى السيارة وأدار المحرِّك، ثم أطلقها تجري في طريق الغابة ... وأسرعوا يشقُّون طريقهم في اتجاه الشمال الغربي كما أشار «كالنجانو» ... وخلفهم كانت الطبول تُدوِّي، تملأ الغابة بالخوف والرعب.

ظلُّوا يجرون في الغابة حتى أحسُّوا بالتعب، وكانت أصوات الطبول قد ابتعدت، وعاد السكون يسود الغابة، ونظر «أحمد» إلى ساعته؛ كانت قد تجاوزت الخامسة مساءً، وزحف ظلام كثيف على الغابة ... وبدأت الفراشات المضيئة تظهر كالنجوم الصغيرة وهي تطير حولهم.

قال «كالنجانو»: لن نستطيع بلوغ النهر اليوم، ومن الأفضل أن نقضي الليلة هنا فوق أشجار الماهوجني.

واختاروا مكانًا جافًّا تحت شجرة ضخمة، وتمدَّدوا جميعًا على الأرض؛ فقد كانت أقدامهم تضج بالتعب وأجسادهم منهكةً من الرحلة الصعبة، واستسلموا للنوم سريعًا ... ومضت فترة من الوقت قبل أن يستيقظ الجميع على طلقٍ ناري، دوَّى في سكون الغابة ... وقفزوا على أقدامهم وشاهدوا «عثمان» يقف كالشبح في الظلام ... وأصوات عويل قريبة ... ثم سكن الصوت وقال «عثمان»: لقد كان أحد الفهود. استيقظتُ على أنفاسه الحارة تلفح وجهي. ولحسن الحظ أنني أصبته من أول رصاصة وإلَّا فتك بي.

قالت «زبيدة»: هل كان هذا العويل صوته؟

عثمان: نعم ... إنه يلفظ الروح الآن.

كالنجانو: إنني آسف ... كان يجب ألَّا أترككم تنامون في هذا المكان؛ فالغابة تعج بالحيوانات المتوحشة، والثعابين السامة. يجب أن نُشعل نارًا.

أحمد: لقد ارتحنا مدةً كافية، وسنقوم بعمل نوبات حراسة.

وأشعل الشياطين الأربعة بطارياتهم، ثم أخذوا يبحثون عن أغصانٍ جافَّة حتى جمعوا كومةً أشعلوا فيها النيران، وجلسوا حولها يتحدَّثون.

قال «أحمد»: هل تعرف إلى أي قبيلة ينتسب هؤلاء الراقصون الذين شاهدناهم يستعدون لمطاردتنا؟

كالنجانو: نعم ... إنهم من «التشوكو» ... وهم فرع من قبيلة «الأيبو» الكبيرة المنتشرة في أفريقيا كلها. وقد كانوا يعملون قديمًا في تجارة الرقيق، وهم اليوم يقومون بعمل المرتزقة ويتعاملون مع شركة «ك».

وكانت «زبيدة» منهمكةً في إعداد بعض الأطعمة للعشاء، ثم انضمَّت إليهم وقالت: إنني لا أريد أن أُثير فزعكم، ولكنني أُحسُّ أن هؤلاء «التشوكو» قريبون منا. إنهم يحيطون بنا. قلبي يُحدِّثني بهذا.

صمت الشياطين الثلاثة، وقال «كالنجانو»: ليس هذا بمستبعد. إنهم يسيرون بسرعة الريح ... ويشمُّون رائحة الفريسة على بُعد كبير، ويتحرَّكون في خفة الفهود والنمور.

ونظر الجميع إلى «أحمد» الذي بدا هادئًا تمامًا ثم قال: في هذه الحالة فإنني أرى أن نتحرَّك بدلًا من بقائنا جالسين فريسةً سهلةً لهم. سنتحرَّك في خطٍّ مستقيم؛ «كالنجانو» في البداية، ثم «بو عمير»، ثم «زبيدة»، ثم «عثمان» ... وأنا في النهاية ... حتى إذا سقط أحدنا نجا الآخرون.

وتناولوا عشاءهم على عَجَل، ثم بدءوا يُطفئون النار وفجأةً صرخ «كالنجانو» متأوِّهًا وهو يُمسك بذراعه ... وعلى ضوء النيران الخافتة بدا سهم مغروس في كتف الشاب الأسمر، وفي نفس اللحظة أطلق «أحمد» مسدسه، وسمع صرخة ألم عميق، ثم ساد السكون.

أسرعت «زبيدة» تنزع السهم برفق من ذراع «كالنجانو»، وأخرجت من الحقيبة التي تحملها على ظهرها ضمادات، بينما وقف «أحمد» و«بو عمير» و«عثمان» في شكل قوس وهم يُوجِّهون مسدساتهم إلى جوف الغابة المظلم ... وقد أحسُّوا بنذير الخطر.

وقال «كالنجانو»: لنتحرَّك سريعًا.

ومضَوا بعد أن أكملت «زبيدة» تضميد جراح «كالنجانو» ... ولحسن الحظ كانت الإصابة خفيفة ... وكان «أحمد» يسير في نهاية الصف ... وبين فترة وأخرى كان ينظر خلفه ... وسمع صوتًا فوق رأسه ... ثم سقوط شيء من فوق ... ثم أحسَّ بذراعَين قويتَين تُحيطان به وتجذبانه بعيدًا عن بقية الزملاء.

صراع الأشباح!

أدرك «أحمد» أن أحد الأعداء قد قفز عليه من فوق شجرة، وبسرعة ضربه ضربةً موجعة ... وتبعها بضربة أخرى قوية ... وأفلت الرجل من «أحمد» وهو يتأَّوه، والتفت «أحمد» إليه ... ولكن لم يكن يرى منه شيئًا في الظلام الكثيف، ومع ذلك أطلق يده في ضربة ساحقة أمامه، وقد أصابت هدفها، فترنَّح الرجل وسقط على الأرض ... وانحنى «أحمد» عليه وأطلق أشعة مصباحه ... ولكن قبل أن يُمسك به، أحسَّ بأقدام مسرعة خلفه، فارتمى على الأرض مسرعًا، وطار فوق رأسه سهم مضى بعيدًا، وأطلق «أحمد» الرصاص مرَّتَين، وأطفأ المصباح حتى لا يعرف أحد مكانه ... ثم تدحرج بعيدًا بين الحشائش النامية.

وقف «أحمد» مسرعًا، ومضى يشق طريقه بين أشجار الغابة الكثيفة، وكانت الأغصان المتدلية تضربه في كل مكان من رأسه حتى ساقيه ... وكثيرًا ما داس على حيوانات صغيرة كانت تُطلق صيحاتها الفزِعة وتُولِّي هاربة ... ولكنه ظلَّ ماضيًا في طريقه، ولم يتوقَّف إلَّا عندما أحسَّ بالتعب يُسيطر عليه تمامًا، فألقى بنفسه على الأرض، وتمدَّد على ظهره، ومدَّ ذراعه بالمسدس إلى الأمام، وبقي مُنصتًا ... وفكَّر أن هذا الصراع ليس في صالحه مطلقًا ... خاصةً بعد أن انفصل عن زملائه.

أمضى فترةً من الوقت مستلقيًا مكانه، ثم تحامل على نفسه ووقف ... وفكَّر لحظات وقرَّر أن يُمضي بقيَّة الليل مكانه ... فمن العبث البحث عن الأصدقاء في الليل وظلام الغابة الكثيف لا يسمح له بالرؤية ... ولا يمكن تتبُّعهم بالأصوات فقط ... فالأصوات تملأ الغابة.

ثم أطلق مسرعًا بعض ومضات من بطاريته حتى اختار شجرةً من الماهوجني الضخمة قفز إليها، ثم صعد إلى أغصانها القوية، وأطلق بطاريته حوله؛ فقد يجد فهدًا رابضًا بين الأغصان، أو مجموعةً من القردة ... ولكن البطارية لم تقع إلَّا على بعض الطيور التي انطلقت فزِعة.

استطاع بعد بحث شاق أن يجد مجموعةً من الأغصان تُكوِّن ما يُشبه الفِراش من أوراق الشجر، فاستلقى عليها ووضع يده وبها المسدس على صدره، ويده الأخرى وبها البطارية بجواره، وأخذ يُفكِّر. ولم يطل به التفكير فقد استسلم للنوم وهو يُفكِّر في زملائه وفي المغامرة المحفوفة بالمخاطر.

أطلَّ الفجر على الغابة الرهيبة … وبدأت الطيور تطير وتُغنِّي، وسمع من بعيدٍ صوت فيل ضخم … وأحسَّ ببعض الرضا … وبقي مكانه مستلقيًا … وأحسَّ بالجوع … ونظر حوله. كانت هناك العشرات من أشجار الفاكهة … الأناناس والموز، وجوز الهند. وأخرج خنجره وانطلق يجمع كميات منها، ثم جلس يتناول إفطاره … ولم ينسَ أن يُلقي للقردة الصغيرة ببعض الفاكهة.

أحسَّ «أحمد» بعد الإفطار أن نشاطه يتجدَّد … فانطلق في اتجاه الشمال الغربي بعد أن حدَّده بمكان الشمس البازغة … وظلَّ يسير مسرعًا حتى شاهد عن بُعد قطيعًا من الفيلة تخرج من الغابة … كانت أقدام عشرات الفيلة تهز الأرض وهي تسير مسرعة … وفكَّر وهو واقف في مكانه في انتظار مرور القطيع أن الفيلة قد تكون ذاهبةً للشرب والاستحمام كعادتها … ومعنى ذلك أنه قريب من المياه … وربما من نهر «كاتونجا» الصغير الذي سيقطعه مع زملائه … وتبع قطيع الفيلة على مبعدة، وزاد الضوء في الغابة … وبدت ألوانها الزاهية في الزهور والأشجار والأعشاب والطيور، وتمنَّى «أحمد» لو أنه جاء إلى هذه الغابة للزيارة فقط للاستمتاع بهذا الجمال البكر … وفجأةً أحسَّ بحركة بجواره، واستدار مستعدًّا ومسدسه في يده … وكم كانت دهشته عندما وجد القردة الصغيرة التي أطعمها على مقربة منه! … كانت تحمل إصبعًا كبيرًا من الموز يكاد يكون في حجمها، وكانت تنظر إليه بعينَين برَّاقتَين … وكأنها تقول له: خذني معك.

اقترب منها محاذرًا فلم تهرب … ومدَّ يده فأمسكها فاستسلمت له … ووضعها على كتفه ومضى.

أخيرًا أشرف على حافَّة الغابة … واشتدَّ ضياء الشمس حتى أغشى عينَيه … وعلى بعد ١٠٠ متر تقريبًا شاهد النهر الصغير يلمع في ضوء الشمس كأنه ثعبان … وأسرع إلى حافَّته ووقف … وأخذ ينظر هنا وهناك لعله يرى بقيَّة الأصدقاء … وفجأةً سمع القردةَ الصغيرة تصيح وتقفز هاربة … وتنبَّه أن هناك خطرًا قريبًا … ووقعت عيناه على تمساح ضخم اقترب من حافَّة النهر ورفع ذيله الهائل ليضربه … وقفز إلى الخلف وأطلق رصاصةً محكمةً أصابت التمساح في عينه؛ فاضطرب جسده بعنف ثم انساب عائدًا إلى الماء … ونظر

«أحمد» شاكرًا إلى القردة الصغيرة التي عادت تقترب منه، ثم عادت تتسلَّق كتفه في أُلفة ... فربت عليها بعطف ومحبة.

وفي نفس اللحظة سمع طلقًا ناريًّا صادرًا من قريب ... وانطلق محاذرًا في اتجاه الصوت، ثم انفرجت أغصان الغابة عن «كالنجانو»، ثم «بو عمير» ... ثم «زبيدة» ... و«عثمان» ... ورفعوا أيديهم له ... ورفع يده وأسرع إليهم.

روى «أحمد» باختصار ما جرى له ... ولم يكن عند الأربعة أحداث يروونها سوى أنهم بحثوا عنه طويلًا، وأنهم يئسوا من العثور عليه، وقرَّروا الاتجاه إلى النهر حسب الخطة.

قال «أحمد»: أين سنجد القارب يا «كالنجانو»؟

ردَّ الولد المخلص: على مبعدةِ بضعة أميال من هنا. تُوجد قبيلة صغيرة تُؤجِّر القوارب وسنجد عندها ما نريده.

وساروا معًا، وحاولت «زبيدة» أن تأخذ القردة الصغيرة، ولكنها قاومت وتمسَّكت بـ «أحمد».

قالت «زبيدة»: هل ستُبقيها معنا؟

أحمد: إذا لم تهرب أو تخاف؛ فسوف أستبقيها.

زبيدة: لنُطلق عليها اسمًا.

أحمد: «سير سير».

وابتسمت «زبيدة» ... وابتسم «بو عمير» و«عثمان» ... ومضوا ينادون القردة الصغيرة باسمها ... حتى شاهدوا على حافَّة النهر مجموعةً من الأكواخ وحولها عدد من الأفدنة المزروعة بالذرة ... وقد انصرفت النسوة إلى العمل أمام الأكواخ. واقتربوا من القرية الصغيرة، واتجهوا إلى أكبر كوخ فيها، وقال «كالنجانو»: إنه كوخ الزعيم.

أخذ سُكَّان القرية ينظرون لهم في حذَر وهم يقتربون من كوخ الزعيم ... ولاحظ «أحمد» أن نظرات السكان ليست ودية ... وعرف السبب عندما وصلوا إلى الزعيم الذي كان نائمًا في فراشه المصنوع من الخيزران ... فقد رفض الزعيم أن يُؤجِّر لهم أي قارب ... وقال إن القوارب كلها قد استؤجرت من الصباح الباكر.

أخذ «كالنجانو» يُلح على الزعيم ويُشير بيدَيه إلى الشياطين الأربعة ... ولكن الزعيم أصرَّ على الرفض ... ولم يعد أمام «كالنجانو» إلَّا أن يُشير للأصدقاء بالخروج ... وبعد أن غادروا الكوخ قال «كالنجانو»: شيء مدهش! ... إن القوارب كلها تُستأجر في يوم واحد شيء مستحيل!

أحمد: إن نفوذ شركة «ك. وراء البحار» وصل إلى هنا.

كالنجانو: هذا واضح. لقد فشلوا في القضاء علينا، وهم الآن يُحاولون منعنا من الوصول إلى «رونزوري».

بو عمير: وما العمل؟

كالنجانو: سأحل المشكلة ... هيا بنا نمضي وكأننا استسلمنا!

أحمد: ولكن كيف ستحل المشكلة؟!

كالنجانو: لقد نظرت إلى شاطئ النهر فلم أجد القوارب ... لقد أخفوها، وسأعرف مكانها، وأسرق قاربًا.

أحمد: ولكن ذلك يُعرِّضك لخطر شديد!

كالنجانو: لا تخَف ... إن شاطئ النهر كما ترى مغطًى بالأعشاب وأغصان الشجر، وسأتمكن من السير بالقارب تحت هذه الأغصان، ولن يراني أحد ... سنمشي حتى نختفي عن أعينهم ثم أعود وحدي.

ساروا حتى ابتعدوا عن القرية، واختفت عن أعينهم خلف الأشجار والأعشاب، وطلب منهم «كالنجانو» أن ينتظروه ثم خلع ثيابه، وانساب إلى النهر فصاح «أحمد» به: احذر التماسيح!

ابتسم «كالنجانو» بثقة وقال: عليك أن تُحذِّر التماسيح مني ... فقد قتلت منها الكثير.

واختفى الولد الشجاع تحت الأغصان، وجلس الأصدقاء يستريحون ويتحدَّثون.

ومضت نصف ساعة، ثم سمعوا صوت مجاديف تضرب صفحة المياه، وظهر «كالنجانو» يبتسم في القارب ... وقفز الأربعة واقفين، ثم أوقف «كالنجانو» القارب ببراعة بجوار الشاطئ تمامًا، وقفزوا إليه، وانطلقوا مسرعين.

قال «كالنجانو»: سنصل إلى منطقة الشلَّالات بعد حوالي ثلاثين ميلًا، وسنحتاج إلى مهارة في التجديف للمرور منها.

بو عمير: لا تخشَ شيئًا؛ إننا متمرِّنون على التجديف والسباحة.

ومضوا يُجدِّفون بنشاط، وسألت «زبيدة»: متى نصل إلى «رونزوري»؟

كالنجانو: سنصل في المساء إذا سرنا بهذه السرعة ... وتبقى مسافة أخرى سنقطعها على الأقدام، ثم نصل إلى مقر قبيلة «الهوتو» أصدقاء «ميجيا»، وهؤلاء سوف يُساعدوننا.

ابتسم «أحمد» قائلًا: لقد فعلتَ الكثير من أجلنا يا «كالنجانو»، ولا ندري كيف نكافئك؟!

هزَّ «كالنجانو» رأسه وهو يُجدِّف بنشاط قائلًا: لا تنسَ أننا أصدقاء.

كان الجو حارًّا، ولكن المياه المحيطة بهم والأشجار والحشائش، كل ذلك جعل رحلتهم النهرية متعة. ومرَّت الساعات وبدأ صوت الشلَّالات يقترب، وقال «كالنجانو»: هذا هو الجزء الخطِر من رحلتنا النهرية ... استعدوا!

على حافَّة الفشل في «رونزوري»!

عندما اقتربوا من الشلَّالات ازدادت سرعة القارب تدريجيًّا ... وأخذ التيَّار يدفعهم بشدة ناحية رأس الشلَّال ... وكان «أحمد» يجلس على دفَّة القارب يُوجِّهه، بينما استخدم الباقون المجاديف للحد من سرعة القارب ... ووصلوا إلى قمة الشلَّال ... كانت محصورةً بين جبلَين مرتفعَين اختفيا تحت الأشجار الخضراء العالية ... ولم تكن المسافة بينهم وبين الجبل الأيمن تزيد على خمسين مترًا ... ولاحظ «أحمد» أن الطيور تطير فزِعةً من مكامنها على الجبل، وأدرك أن ثمة شخصًا أو أشخاصًا يُفزعونها ... وأحسَّ بخطر وشيك، وفجأةً شقَّ الهواء صوت رصاصة اصطدمت بمقدمة القارب ... ثم تبعتها رصاصة ثانية ... كادت تُصيب «زبيدة»، فصاح «أحمد»، وقد ظلَّت يده ممسكةً بدفة القارب ... وانهال الرصاص ... وأُصيب القارب في أكثر من مكان بالثقوب، وبدأت المياه تملؤه ... ثم وصلوا إلى حافة الشلَّال وانحدر القارب مسرعًا مع التيَّار العنيف، وسمع «أحمد» طلقةً قريبة، ثم انكسرت الدفة، وفقد السيطرة على القارب الذي اندفع كريشة صغيرة في قلب التيَّار الدافق.

انقطع سيل الرصاص لأنهم ابتعدوا عن الجبل بمسافة كبيرة، وأخذ القارب يترنَّح، ورفع الشياطين الأربعة و«كالنجانو» رءوسهم، وشاهدوا القارب يندفع ناحية صخرة ضخمة، وفجأة قفز «عثمان» وأمسك بأحد المجاديف، ووقف على مقدمة القارب ... واقترب القارب مسرعًا كالقذيفة ناحية الصخرة، ولكن «عثمان» استطاع برشاقة أن يغرس المجداف في الصخرة فيُحوِّل القاربَ عن طريقه المخيف. وانكسر المجداف، وسقط «عثمان» في النهر، ولكنهم كانوا قد اجتازوا الشلَّال، فهدأت سرعة القارب تدريجيًّا، خاصةً بعد أن ملأته المياه تمامًا، فحملوا أسلحتهم وألقوا بأنفسهم في المياه ... وسبحوا في اتجاه الشاطئ ... وكان «عثمان» قد استطاع أن يصعد إلى سطح الماء بعد سقطته، وأخذ يعوم مسرعًا في اتجاههم.

اجتمعوا على الشاطئ ونظروا إلى الشلَّالات العالية، وقالت «زبيدة»: لو رأيتها من هذا الجانب لتردَّدت في عبورها.

أحمد: لقد عبرناها رغم التيَّار والرصاص … إن شركة «ك. وراء البحار» تضع رجالها في كل مكان.

كالنجانو: لم تبقَ إلَّا ساعة واحدة ونصل إلى حدود قبيلة «الهوتو» أصدقاء «ميجيا»، وهناك لن يستطيع أحد التعرُّض لنا.

وسمعوا في تلك اللحظة صرخات قصيرةً تصدر من رأس «أحمد»، وتذكروا القردة، لقد ظلَّت ملتصقةً برقبة «أحمد» طول الوقت، دون أن يُحس بوجودها أحد. وابتسموا جميعًا عندما وجدوها تعبث بشعر «أحمد».

جلسوا على العشب الأخضر حتى تجف ثيابهم … وكان منظر الشلَّالات جذَّابًا ومثيرًا … ولكن لم يكن هناك وقت للاستمتاع؛ فقد كانت الشمس تميل للمغيب، وبعد قليل يهبط الظلام. وبدءوا سيرهم سريعًا خلف «كالنجانو» … وعادوا مرةً أخرى إلى منطقة كثيفة الأشجار ترتفع فيها صيحات الحيوانات المتوحشة، وبرزت المسدسات في أيديهم انتظارًا لأي هجوم … ولكن المسيرة مضت دون حوادث … وأحسُّوا جميعًا بالرضا … فلم تبقَ سوى مسافة قصيرة ويصلون إلى قبيلة «الهوتو». ولكن ذلك كان تفاؤلًا سابقًا لأوانه؛ ففي لحظة انهالت طلقات الرصاص عليهم من كل جانب، وأسرعوا جميعًا ينبطحون أو يختفون خلف الأشجار … لقد أعدَّ لهم أعوان شركة «ك» كمينًا غير متوقَّع … وأطلقوا مسدساتهم في اتجاه المعتدين … ثم خرج «عثمان» فجأةً من مكمنه، وقفز كالقرد إلى الجانب ثم إلى الأمام، ثم إلى شجرة عالية … وسمعوا صوت صراع يدور فوق شجرة … ثم سقط «عثمان» ممسكًا برجل أبيض ضخم. ودارت معركة شرسة بين الولد الأسمر الرشيق والرجل الضخم. وكان «عثمان» يستخدم فنون الكاراتيه ببراعة، ثم وجَّه إليه ضربةً قوية، على أثرها سقط الرجل مترنِّحًا على الأرض، وفي نفس الوقت كان «بو عمير» يصطاد رجلًا آخر … وبرز إلى ساحة الصراع أربعة رجال آخرون كلهم من البيض المسلَّحين … واندمج الشياطين في معركة مع الرجال الستة. وقفز «أحمد» إلى غصن شجرة ثم سقط فوق المتصارعين … وتعلَّقت «زبيدة» بغصنٍ آخر ووجَّهت ضربةً إلى أحد الرجال؛ فسقط على الأرض دون أن ينطق بحرف. ورغم أن «كالنجانو» اشترك في المعركة، إلَّا أنه كان ينظر بين لحظة وأخرى مذهولًا إلى الشياطين الأربعة وهم يتحرَّكون في خفة وسرعة؛ فلم يكن يتصوَّر أبدًا هؤلاء الشبَّان الأربعة الظرفاء يمكن أن يتحوَّلوا إلى مقاتلين أشدَّاء في لحظات … واستمرَّ الصراع حتى سقط أربعة من المعتدين على الأرض … وفرَّ اثنان.

قال «كالنجانو»: إننا لن نسير أكثر؛ فقد يكون في انتظارنا كمين آخر ... وسوف أتصل برجال «الهوتو» الآن.

أحمد: كيف؟

كالنجانو: بالطبل.

أحمد: ولكن ليس معك طبلة؟

كالنجانو: سترى!

وأسرع «كالنجانو» فقطع غصنًا غليظًا من شجرة، ثم بحث حوله واختار شجرةً مجوَّفة، وأمسك بالغصن وبدأ يدق ... ولدهشة الشياطين الأربعة خرج نغَم مُنسَّق يُسرع أحيانًا ويُبطئ أحيانًا ... وشقَّ سكون الغابة صوت الطبل ... واستمرَّ «كالنجانو» يدقُّ ببراعة على الشجرة المجوَّفة ... وسرعان ما برز من بين الأشجار رجال طوال القامة يُمسكون برماحهم. وأسرع «كالنجانو» إليهم ... وتحدَّث معهم ... فتقدَّموا بالسلام إلى الشياطين الأربعة.

أحاط الرجال الطوال بالشياطين، ولأول مرة منذ أن دخلوا الغابة، أحسَّ الأربعة بالأمان وهم يسيرون وسط حرسهم المسلَّح ... وعندما وصلوا إلى مقر القبيلة وجدوا حفلًا ضخمًا مُقامًا لهم ... طبول تُدق ... نيران مشتعلة ... فرسان يرقصون ... غزلان تُشوى على النار ... واستقبلهم زعيم القبيلة بحركات راقصة تعبيرًا عن ترحيبه.

قال «أحمد» محدِّثًا «كالنجانو»: هل نُحدِّثهم في العمل الآن؟

ردَّ «كالنجانو» محذِّرًا: لا ... لا بد من حضور حفل الاستقبال أولًا ... إن الحديث في الحفل الآن فيه إهانة لمشاعرهم.

وزاد دقُّ الطبول ... وبرز إلى الساحة رجل يلبس جلد النمر ... يُمسك برمح طويل أخذ يُراقصه ويدور به ... ثم دعا الشياطين للرقص ... فقام «بو عمير» وأمسك برمح هو الآخر. ولدهشة الأصدقاء كان «بو عمير» راقصًا ماهرًا ... وزادت حدة الطبل ... وأسرعت الرقصة إلى نهايتها ... ثم جلس الجميع ... وعزف أحد الرجال على ناي موسيقى خفيفةً شجيَّة ... وبدأت قطع اللحم المشوي الساخن تصل ... وشرب الأصدقاء من أكواب صُنعت من جوز الهند سائلًا حلوًا هو مشروب الصداقة كما قال «كالنجانو».

استمرَّ الحفل نحو ثلاث ساعات ... ثم هدأت الضجة، وجلس الأصدقاء مع الزعيم وبعض أعوانه ... وبدأ «كالنجانو» الحديث فشرح للزعيم مُهمَّتهم ... وردَّ الزعيم بأنه تلقَّى رسالةً بالطبول من «ميجيا» ... وأنه على استعداد لخدمتهم ... فقال «أحمد» لـ«كالنجانو»: اطلب منه أن يُخبرنا ماذا يفعل رجال شركة «ك. وراء البحار» في «رونزوري».

وردَّ الزعيم أن هناك عشرين رجلًا ... بعضهم يلبس ملابس بيضاء، وبعضهم يقوم بالحفر في الجبال. وأن عندهم بيتًا تحت الأرض يُحضِّرون فيه أشياء تُشبه الأصابع، وأن رجاله أحضروا بعضًا منها، وعندما قرَّبوها من النار انفجرت وقتلت بعض رجالهم.

قال «أحمد»: إنه ديناميت!

وطلب «أحمد» من «كالنجانو» أن يسأل الزعيم أين يُرسَل هذا الديناميت. وردَّ الزعيم أنهم يضعونه في صناديق ويُهرِّبونه خلال الغابة إلى جنوب السودان.

قال «عثمان» بانفعال: إنهم يُرسلونه إلى المتمرِّدين في جنوب السودان لإشعال نار الفتنة هناك ... وإن هذه معلومات على أكبر جانب من الخطورة بالنسبة لحكومة السودان.

وطلب «أحمد» من الزعيم بواسطة «كالنجانو» أن يُساعدهم في تدمير هذا المصنع أو الحصول على ما به من أوراق ... وتردَّد الزعيم لحظات، ثم قال: إن رجالي يخافون من هذه الأصابع القاتلة؟

ردَّ «أحمد» على الزعيم بواسطة «كالنجانو» قائلًا: قُل للزعيم إننا سنتولَّى أمر هذه الأصابع، وإننا نُريدهم فقط أن يقودونا إلى هناك.

ورحَّب الزعيم بذلك، وأبدى استعداده أن يقوم الرجال فورًا بهذا العمل ... وهكذا انطلق الشياطين الأربعة ومعهم عدد من الرجال الطوال في الطريق إلى مقر شركة «ك. وراء البحار» في ظل الجبال الشاهقة.

بعد ساعتَين من السير المتصل في الغابة خرجوا فجأةً إلى الفضاء ... وظهرت على الفور أمام القافلة «جبال القمر».

وقال أحد الرجال مشيرًا إلى الجبال: «رونزوري»!

وأمامهم على مرمى البصر بدت القمم الرائعة للجبال ... وفوقها كان القمر معلَّقًا كأنه صورة مرسومة ... وقالت «زبيدة» بانفعال: معهم حق أن يُسمُّوها «جبال القمر» ... فهي تبدو والقمر واحدة، وكأنه معلَّق في قِمَّتها.

وضاعفوا سرعتهم في الخلاء، وبعد ساعة كانوا قد وصلوا إلى قاعدة الجبال، وتحدَّث «كالنجانو» مع الرجال فشرحوا له مكان معمل الديناميت ... واستعدَّت «زبيدة» و«بو عمير» للعمل، فزحفا أمام الرجال حتى أشرفوا على المعمل ... كان واضحًا أنه مبنيٌّ في كهوف الجبل، ولا يبدو منه فوق السطح إلَّا بعض الأسطح من الصفيح المدهون.

واقتربا أكثر ... وفجأةً ارتفع صوت ميكروفون في السكون قائلًا: إنكم محاطون بحقلٍ من الألغام ... فإذا تحرَّكتم حركةً واحدةً نُسفتم جميعًا ... نحن ندعوكم إلى الاستسلام فورًا وإلَّا فجَّرنا الألغام.

أحسَّ «أحمد» بالضيق يجتاحه ... فبعد هذه المغامرة المذهلة، والانتصارات التي حقَّقوها حتى وصلوا وأصبحوا على قيد خطوات من الانتصار النهائي، ها هم يُواجهون الفشل عند «رونزوري».

ودون كلمة واحدة أخرجت «زبيدة» بطاريتها الصغيرة، وأطلقت شعاعًا من الضوء حولها ... كانوا على ممر صخري بين الجبال ... وبنظرة مدقِّقة إلى الأرض أدركتْ أن هناك شحنات من الديناميت تُحيط بالممر من كل جانب!

قالت لـ «أحمد»: إننا فعلًا محاطون بالديناميت من كل جانب. وأقترح أن تتقدَّموا أنتم واتركوني هنا. إنهم لن يعرفوا أنني تخلَّفت إلَّا بعد أن تصلوا إليهم ... وسأقوم أنا بنزع الأسلاك الموصلة إلى الديناميت، ثم أُطلق رصاصةً فتعرفون أنني انتهيت من مهمَّتي.

أحمد: كوني على حذر.

وتقدَّم الجميع وانبطحت «زبيدة» على الأرض في الظلام، ثم زحفت إلى رأس الممر، وأخذت تتحسَّس الأرض في الظلام.

تقدَّم «أحمد» ومعه بقية الأصدقاء والرجال إلى الممر، وعندما وصلوا إلى الساحة التي أُقيم فيها المعمل، أُضيئت أنوار قوية أحاطت بهم من كل جانب، وصاح الميكروفون: ألقوا أسلحتكم!

وأخرج الأصدقاء أسلحتهم ... ولكن قبل أن يُلقوها على الأرض، انطلقت رصاصة «زبيدة»، وفي نفس اللحظة صاح «أحمد»: أطلقوا الرصاص على الأنوار.

وانطلقت المسدسات الثلاثة على الأنوار الكاشفة ... ثم انهال الرصاص من كل جانب، واندفع «أحمد» وخلفه «بو عمير» و«عثمان» ... والرصاص يتطاير من مسدساتهم، واندفع خلفهم رجال «الهوتو» الأشدَّاء يقذفون برماحهم على كل من يظهر تحت ضوء القمر.

وتمَّ اقتحام المعمل ... واشتبك الشياطين ورجال «الهوتو» مع رجال شركة «ك. وراء البحار» ... ودخل «أحمد» ومعه «عثمان» إلى غرفة الإدارة ... وشاهدوا آلَةً كاتبةً كالتي وصفها «خالد»، وجلس «أحمد» إليها. كان عليها رسالة بيضاء ... وعندما ضغط على بعض أزرارها أصدرت الماكينة صوتًا خافتًا، ثم بدأت الرسالة تدور في الماكينة ... وتظهر عليها الكلمات.

صاح «أحمد»: إنها الآلة التي طلبها رقم «صفر»، وسنجمع كل الأوراق والملفات وننسف معمل الديناميت.

حضرت «زبيدة» بعد لحظات، وطلب منها «أحمد» أن تُلغِّم المعمل كله لنسفه، وجمع «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» كل الأوراق والملفات التي عثروا عليها، بينما كان «كالنجانو» ورجال «الهوتو» يطاردون رجال شركة «ك. وراء البحار» في الجبال.

بعد ساعة انسحب الشياطين من المعمل ومعهم «كالنجانو» ورجال «الهوتو»، وأشعلت «زبيدة» النار في الفتيل؛ فأخذت تسري فيه حتى وصلت إلى الديناميت، وانفجرت الشحنات بصوت مدوٍّ هزَّ الجبال.

بعد ثلاثة أيام كان الشياطين الأربعة يُودِّعون «كالنجانو» على حدود السودان، وسافروا إلى «جوبا» عاصمة جنوب السودان، حيث وضعوا معلوماتهم أمام المسئولين. وفي بيروت جلس «أحمد» يكتب تقريره لرقم «صفر»، وبقية الشياطين يبتسمون لهذا المشهد الظريف.

هنـــداوي